# الصلاة الربانية

## وشروحاتها عند الآبـاء



دار مجلة مرقس

# الصلاة الربانية

## وشروحاتها

# عند الآباء

دار مجلة مرقس

كتاب: **الصلاة الربانية وشروحاتها عند الآباء.**

ترجمة وإعداد: **رهبان دير القديس أنبا مقار.**

الناشر: **دار مجلة مرقس.**

الطبعة الأولى: **١٩٩٣**

مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.

ص. ب ٢٧٨٠ – القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٥٩٢٥ / ١٩٩٣

رقم الإيداع الدولي: ٦ – ٠٤٥ – ٢٤٠ – ٩٧٧



(هذا الكتاب هو مجموعة مقالات مسلسلة سبق نشرها في مجلة مرقس من عدد يناير وفبراير ١٩٨٢ إلى عدد يناير ١٩٨٣، ومن عدد مايو ١٩٨٦ إلى عدد ديسمبر ١٩٨٦).

# المحتويات

صفحة

# مقدمة

تقدم لنا الأناجيل المقدسة صيغتين للصلاة «الربانية»؛ الصيغة الأطول - وهي بلا شك الأكثر وضوحاً - وهي التي يوردها القديس متى (٦:٩-١٣)، والتي التزمت بها الكنيسة بحسب التقليد. أما الأكثر اختصاراً فهي التي يحتفظ بها لنا إنجيل القديس لوقا (١١:٢-٤)، وهي التي تقدم الصلاة الربانية في أسلوب المناسبة التي قيلت فيها، وذلك على أرجح الظن.

لقد كان لتلاميذ يوحنا المعمدان صلاة خاصة بجماعتهم، وكان الرسولان يوحنا وبطرس من بينهم. فلما تكونت الجماعة الرسولية وابتدأ الاثنا عشر يعون وحدتهم، طلبوا من المعلم أن يعلمهم صلاة تربط جماعتهم به وببعضهم البعض (لو١١:١). أما الرب يسوع فبدأ يعلمهم إياها قائلاً: «متى صليتم فقولوا: "أبانا الذي في السموات"...».

**الممارسة الليتورجية للصلاة الربانية:**

ومنذ بدء الكنيسة بدأ المسيحيون يرددون الصلاة الربانية في اجتماعاتهم للإفخارستيا، وكانت تلاوتها تعني إحساسهم بالحضور السري للمسيح غير المنظور في وسط جماعتهم، تلك التي بدأت تتكون في أماكن عديدة مثل: فلسطين وسوريا والبلاد الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وأول تلميح إلى الصلاة الربانية نجده في رسالة القديس بوليكاربوس (+١٥٦) إلى أهل فيلبي (٦:٢)؛ حيث يحض أسقف سميرنا القسوس على المحبة الأخوية، ثم يضيف قائلاً: "أنتم تطلبون من الرب أن يغفر لكم؛ فاغفروا أنتم بدوركم لبعضكم البعض". وحوالي هذا الوقت نفسه كتبت الديداخي (تعاليم الرسل) تقول: "لا تصلوا كالمرائين، ولكن كما أوصى الرب في الإنجيل، فصلوا هكذا: أبانا الذي في السماء، ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ما علينا كما نغفر نحن لِمَنْ لنا عليهم، ولا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك القوة والمجد في كل الدهور. صلوا هكذا ثلاث مرات." (ديداخي ٨:٢و٣)

الديداخي كما نرى تعرض «أبانا الذي...» حسب صيغة القديس متى. وتحت تأثير الاستعمال الليتورجي أُضيفت لها خاتمة تمجيدية (الذكصا أي «لأن لك الملك والقوة والمجد»)، التي توجد في عدد كبير من المخطوطات وفي نسخ إنجيل القديس متى بالذات. ونفس الذكصا تختتم إحدى الصلوات الليتورجية في الديداخي (١٠:٥): "اجمع من الرياح (الجهات) الأربع هذه الكنيسة المقدسة في الملكوت الذي أعددته لها؛ **لأن لك القوة والمجد** في كل الدهور".

ثلاث مرات في اليوم كان المؤمنون يتلون الصلاة الربانية، وهذا الطقس على أرجح الظن ذو أصل يهودي؛ فالمجمع كان يحرص على إقامة الصلاة

ثلاث مرات في اليوم، صباحاً، وظهراً (التاسعة)، وفي المساء عند غروب الشمس. أما اليهود الذين صاروا مسيحيين فكان عليهم أن يقدموا الصلاة الربانية في هذه الأوقات الثلاثة أيضاً.

ومنذ بدء العصر الرسولي بدأ الآباء يشرحون الصلاة الربانية للموعوظين لكي يعدوهم للعماد، أو للمؤمنين لكي يعمِّقوهم أكثر في الإيمان وفي العلاقة الحية الفعَّالة مع الرب. وأكثر مَنْ شرحوا صلاة «أبانا الذي في السموات» باستفاضة من آباء الكنيسة هم: القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد (+٢٥٨م)، والقديس يوحنا ذهبي الفم (+٤٠٧م)، والقديس أغسطينوس (+٤٣٠م)، والقديس كيرلس الكبير (+٤٤٤م). وسننشر تباعاً مختاراتٍ من شروحاتهم على كل فقرة من الصلاة الربانية حسب التقسيم الموضوعي المتفق عليه عند الآباء.



# ١ . أبانا الذي في السموات

**استجابة الصلاة مضمونة بهذا الدعاء:**

+ ليتنا نصلي يا إخوتي، كما علّمنا الرب. فالصلاة التي تبتهل إلى الله بنفس كلماته الخاصة، والتي تُرفع إليه بنفس صيغة المسيح، هي عذبة ومقبولة لديه، لأن الآب حينئذ يتوسم في صلاتنا هذه كلمات ابنه. ومَنْ يسكن في قلبنا يُفصح عن نفسه في نُطقنا. ثم إنه هو شفيع خطايانا عند الآب، فنحن الخطاة عندما نصلي إنما ننطق بشفاهنا نفس كلمات شفيعنا، الذي قال: «كل ما تطلبونه من الآب، باسمي، يُعطَى لكم». فكم بالأكثر تكون صلاتنا فعَّالة في اسم الرب إذا ما كنا نطلب بنفس كلامه!

**طبيعة الصلاة الربانية: جمهورية مشتركة:**

+ لم يشأ رب السلام والوحدة منذ الابتداء أن نصلي فرادى وعلى حدة، حتى إن كل مَنْ يصلي لا يصلي من أجل نفسه فقط. فنحن لا نقول: «أبي» الذي في السماء، ولا: «أعطني» «خبزي كفافي». وكل واحد منا يطلب ليس فقط من أجل نفسه أن يغفر له الله ذنوبه، أو ألا يُدخله في التجربة، أو ينجيه من الشرير، إنما صلاتنا هي جمهورية مشتركة.

+ ونحن عندما نصلّي، لا نطلب من أجل فردٍ واحدٍ، ولكن من أجل كل الشعب لأننا مع الشعب نحن واحد. إله السلام ورب المصالحة والذي يعلّمنا الوحدة، يود أن كل واحد يصلي من أجل الكل كما حمل هو الكل في واحد... وقد قيل: «كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة مع بعض النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته.» (أع١:١٤)

+ «**بقلب واحدٍ**» كانوا يواظبون على الصلاة. هذا يبيِّن، في نفس الوقت، غيرتهم الحارة وحرصهم على وحدتهم. لأن الله الذي يجمع في بيته أولئك الذين لهم قلب واحد، لا يقبل في مساكنه السمائية الأبدية إلا أولئك الذين يصلون في شركة إيمانية واحدة بعضهم مع بعض.

**«أبانا الذي في السموات»:**

+ نحن نقول «أبانا» لأننا قد صرنا أبناءً. كم هو جزيلٌ وعظيمٌ غنى هذه الصلاة الربانية! هذا الغنى مذخر في كلمات قليلة، ولكن بكثافة روحية لا تنضب، حتى إنه في هذا القول الموجز لا يفوتنا شيئ من التعليم السماوي مما يجب أن يكون أساسياً في صلاتنا.

+ قال لنا الرب، صلوا هكذا: «أبانا الذي في السموات». الإنسان الجديد المولود ثانية والراجع إلى إلهه بالنعمة، يبادر بقوله: أبي، لأنه صار ابناً. «إنه أتى إلى خاصته، وأما خواصه فلم يقبلوه. وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أي أولئك الذين يؤمنون باسمه.» (يو١:١٢ ــ حسب النص المترجم)

+ يا لعظمة رأفة الرب بنا، ويا لجلال نعمته ولطفه من نحونا في أن يجعلنا نصلي في حضرة الله؛ بل وندعوه «أبانا». وكما أن المسيح هو ابن الله، كذلك نحن أيضاً قد دُعينا أبناءً. وما كان أحد منا يجرؤ أن يستعمل هذه الكلمة في الصلاة لولا أن الرب نفسه قد حضَّنا على هذا.

**دعوة «أبانا» ومتطلباتها في السلوك:**

+ لذلك ينبغي علينا، أيها الإخوة الأحباء، أن نضع في الاعتبار أنه إذا كنا ندعو الله أبانا، فعلينا أن **نسلك كبنين لله**. وإذا كنا قد رضينا بأن يكون الله أبانا فيجب أن يكون له السلطان علينا (كأب) وأن يرضى علينا (كأبناء).

+ يليق بنا أن نكون هياكل لله، حيث يستطيع الناس (بواسطتنا) أن يتقابلوا مع الحضرة الإلهية، فلا ينبغي أن ننكث، بسيرتنا، العهد مع الروح القدس. لقد شرعنا أن نصير سماويين وروحيين، فعلينا أن نقصد ونتمم كل ما هو سمائي وروحي. الرب نفسه قال: «أُكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يُحتقرون» (١صم٢ : ٣٠)، والرسول قال في رسالته: «إنكم لستم لأنفسكم بعد. لأنكم قد اشتُريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦ : ٢٠)

**القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة**

* * *

## صلاة «أبانا» واختبار المحبة الأخوية:

+ يا لها من محبة فائقة! ويا لها من كرامة جليلة! بأي كلام يليق بنا أن نشكر الرب الذي أسبغ علينا هذا المقدار من النِعَم؟ تأملوا، يا أحبائي، دناءة طبيعتنا (البشرية) العامة، وأمعنوا الفكر في منشأ أصلنا فلن تجدوه إلا طيناً، ورماداً، وهباءً؛ نُجْبلُ من الأرض ثم نعود إلى الأرض بعد الموت.

+ ثم من جهة أخرى تعجبوا للجَّة لطف الله غير المُدْرَكة، الله الذي يريدنا أن ندعوه «أباً» لنا. أي أننا نحن الأرضيين ننتسب لساكن السماء، ونحن المائتين لِمَنْ هو دائم أبدي، نحن القابلين للفساد لَمَنْ لا يعتريه البلى، نحن الزائلين لَمَنْ يبقى أبداً. نحن الخارجين من الطين منذ أمد قصير للكائن منذ الأزل.

+ ومع هذا، ولو أنه سمح لنا أن ننطق اسمه، «أبانا»، إلا أنه لا يريدنا أن نفعل هذا باطلاً. بل لكي ونحن نُكرِم اسم الآب الذي ننطقه بأفواهنا، أن نتمثّل بلطفه، كما يقول في مكان آخر: كونوا متشبهين بأبيكم الذي في السموات. فإنه يشرق على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين (راجع مت ٥:٤٥).

+ فلنتأمل الآن ونستوعب قوة هذا الكلام: إنه يضع لنا ناموساً به نحب بعضنا بعضاً، إنه يربط الكل برباط المودة الأخوية. الرب لم يُوْصِنا أن نقول: «أبي الذي في السموات»؛ بل «أبانا الذي في السموات»، حتى حينما نعلم أن لنا جميعاً أباً واحداً، نبدأ في اختبار المحبة الأخوية بعضنا لبعض، ثم لكي

يُعلِّمنا أن ننفك من الأرض ونظل على الدوام غير منعطفين إليها؛ بل متخذين أجنحة الإيمان، وطائرين في الأجواء العليا ومُحلِّقين إلى ما فوق السماء المنظورة، وطالبين ذاك الذي ندعوه «أبانا»، أوصانا (الرب) أن نقول: «أبانا الذي في السموات»، ليس لأن الله لا يوجد إلا في السماء؛ بل لكي، نحن الذين نوجد في الواقع مرتبطين بالأرض، نرفع أعيننا نحو السماء، ولكي إذ نتأمل حُسن الخيرات التي تنتظرنا هناك، نتوق إليها بكل قلبنا.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

(من عظة عن: "الباب الضيق")

* * *

**نِعَم الخلاص باعث لدعوة الله أبانا:**

+ انظروا كيف أن الرب يسمو أولاً بأرواحنا ويجعلنا نعي كل النِعَم التي سبق أن تقبلناها من الله. فهو في تعليمه لنا أن ندعو الله «أبانا»، إنما يشير بهذه الكلمة الواحدة إلى **الخلاص من العذاب الأبدي وإلى تبرير الأنفس، والتقديس والفداء، والتبني** في عداد أولاد الله، **وميراث مجده** الذي وعدنا به؛ **والشركة مع ابنه الوحيد**؛ وأخيراً **انسكاب روحه القدوس.**

لأنه من غير الممكن لِمَنْ لم يتقبل كل هذه النِعَم أن يدعو الله، بحق، «أباه». فإنه يجذبنا إلى الله بباعثين قويين: بجلالة مَنْ نبتهل إليه، وبعظمة هباته التي نلناها منه.

عندما يقول: «الله الـذي في السـموات»، فهـو هنـا ليـس كمَـنْ يحـده أو يحصره، وإنما لكي يجتذب روح الإنسان الذي يصلي من الأرض ويشـدها إلى السماء.

+ إنه يعلِّمنا أيضاً أن نقدم صلواتنا بصفة عامة من أجل كل إخوتنا. إنه لم يقل: أبي «الذي في السموات»؛ بل «أبانا»، حتى تكون صلاتنا شاملة لكـل جمهور المؤمنين (جسد الكنيسة الواحد)، وحتى لا يراعي كـل واحـد قـط مـا هو لنفسه خاصة بل ما هو للجميع. إنه بهذا يزيل كل بغضة وعداوة، ويقمـع الكبرياء، ويبعد الغيرة والحسد ويُدخل إلى النفوس المحبـة الـتي هـي الأم الإلهيـة لكل الصالحات. إنه يلاشي التفاوت بين الطبقـات والأجنـاس، إنـه يسـاوي، على وجه مدهش، بـين الغـني والفقـير، بـين المرؤوس والرئيس، لأننـا جميعـاً سـنكون سواسـية في طلـب المنـافع العظمـى، أي تلـك الـتي تتعلـق بخلاصنـا (الأبدي).

وماذا يضيرنا من وضاعـة مولدنـا حسـب الجسـد مـا دامـت هنـاك ولادة أخرى (روحية) تربطنا جميعاً دون أن يكـون للواحـد تفـوُّق علـى الآخـر: لا الغني على الفقير، ولا السيد على العبد، ولا الحاكم علـى أحـد أفـراد رعيتـه، ولا الملك على الجندي، ولا الفيلسوف على الأُمـي، ولا مَـنْ هـو أكـثر علمـاً على البسيط والجاهل؟ لأن الله سيجعل جميع البشر متسـاوين في الكرامـة، إذ

سُـرَّ بأن يدعو نفسه أباً للجميع.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

(في شرح العظة على الجبل)

* * *

## لنا أب حي في السماء:

+ انظروا فها أنتم قد بدأتم تتخذون الله لكـم أبـاً. إلا أن ذلـك لا يكمـل تماماً إلا بعد ميلادكم الروحي، فأنتم الآن قد صرتم بالنعمة أجنّـة محمولـين في رحـم الكنيسـة الـتي تتمخـض بكـم، وهـي وشـيكة أن تلدكـم في جـرن المعمودية...

اذكروا الآن أن لكم أباً في السماء. اذكروا أنكـم بعـد أن كنتـم مولوديـن للموت مـن آدم أبيكـم الأول، ستصبحون مولوديـن للحيـاة مـن الله أبيكـم الثاني. ينبغي أن يصادق قلبكم على ما تنطقه شفاهكم؛ لتكـن صلاتكـم (إلى الرب) بكل كيانكم لتكون مسموعة ومستجابة.

+ نحن لنا على الأرض آباء وأمهات؛ وهؤلاء قد ولدونا للفنـاء وللمـوت؛ ولكننا وجدنا أبـاً آخـر وأُمـاً أخـرى، الله والكنيسـة؛ إنهمـا يعطياننـا الحيـاة الأبدية. لنفكّر يا أحبائي في كيف بدأنا أن نصير أبناء، لذلـك فلنسـلك حيـاة تليق بمَنْ لهم مثل هذا الأب السماوي. تأملوا كيف أن خالقنا تنازل بأن يصير هو نفسه «أبانا».

**كلنا إخوة أمام الآب الواحد:**

+ حيث أن لنا «أباً» في السماء فلننتبه كيف يليق بنا أن نحيا على الأرض. لأنه مع «أب» مثل هذا ينبغي أن نسلك حياة جديرة بأن نحظى بميراثه. جميعنا نقول: «أبانا». يا لهذا التفضُّل! هذه العبارة ينطق بها السلطان كما المتسول، الخادم كما السيد. الكل يقول: «أبانا الذي في السموات». فهم على يقين أنهم قد صاروا إخوة، حيث أن لهم نفس الأب. أما الباعث الذي هوَّن على السيد أن يتخذ من خادمه أخاً له، فلأن ربنا يسوع المسيح قَبِلَ بسرور أن يدعوه هو أيضاً أخاه.

+ الدعاء باسم «أبانا» ينبهنا في الحال لمحبة الله الأبوية من نحونا. ليس أعزَّ لدى الأبناء من أن يكون لهم أب! فنحن الصغار لنا دالة في الصلاة عندما نقول: «يا أبانا»؛ بل ولنا رجاء أكيد في حصولنا على ما نحن مزمعون أن نطلب، وحتى قبل أن نطلب يسبق الله فيمنحنا هبة عظيمة بهذا المقدار، وهي السماح لنا بأن ندعوه قائلين: «أبانا».

وكيف يمكن أن يرفض صلاة أولاده، وهو، بادئ ذي بدءٍ، قد سمح لهم بأن يكونوا له بنين؟

+ وإن كان الأمر هكذا فكيف لا تثير فينا هذه العبارة: «أبانا» كل يقظة واهتمام حتى لا نظهر أننا غير جديرين بمثل هذه الأُبوَّة العظيمة المقدار بما لا يُقاس؟ إنه إذا حدث أن أحد كبار شيوخ مجلس الأعيان قد سمح لإنسان ما من عامة الشعب أن يدعوه أباه؛ فإن هذا الإنسان ستأخذه المهابة وبصعوبة

يجرؤ على احتمال ذلــك، متفكـراً إمـا في وضاعـة مولـده، أو في فقـره، أو في حقارة مرتبته! فكم بالأولى يليق بنا أن نتهيب من أن ندعـو الله «أبانـا»، إذا ما كانت نفوسنا ملطخة هكذا بالنجاسة وسيرتنا مثقلة بالذنوب، مما ينفر الله منا بحق، أكثر مما يظهره أحد العظماء من اشمئزاز مــن نحـو خـرق باليـة قـذرة لأحد المتسولين؟ بل إن ما يزدري به هذا الغـني في المتسـول قـد يقـع فيـه هـو نفسه بفعل تقلبات أمور الدنيا وسرعة زوالها، أما الله فأموره باقية على حالهـا ولا يمكن أبداً أن تتغير أو يعتريها فساد.

فشـكراً لرأفـة الله الـذي ارتضـى أن يكـون لنـا أبـاً: هـذه الحظـوة يمكننـا الحصول عليها دون ما نفقة (من فضة أو ذهــب)، ولكـن فقـط بفعـل الإرادة الطيبة المستعدة لقبول صلاح الله.

**القديس أغسطينوس**

* * *

+ يا للجود الفائق! ويـا للطـف الـذي لا يُبـارى، وهـذا حقـاً يليـق بـا لله وحده! إنه يمنحنا مجده: إنــه يرفـع العبيـد الأرقّـاء إلى كرامـة الحريـة، فيُكـرِّم الجنس البشري بمثل هذا الامتياز الذي يفوق قوى الطبيعة، ويحقق ما نطـق بـه صاحب المزامير قديماً: «أنا قلتُ إنكم آلهة وبنو العلـي كُلُّكـم» (مـز ٨٢:٦)، فها هو يحررنا من نير العبودية واهباً لنا بنعمته ما لم يكن لنـا بالطبيعـة: سـامحاً لنا أن ندعو الله أباً لنا، بعد أن قَبِلْنا في مرتبة البنين. وهذا مع كل الامتيـازات

الأخرى قد نلناه من الرب، حسبما يشهد بذلك الحكيم (الروحاني) يوحنا الإنجيلي مدوِّناً عنه أنه: «جاء إلى خاصته وخاصتُه لم تقبله. وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين وُلدوا ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ بل من الله.» (يو ١:١١-١٣)

+ لأننا قد أُبدعنا (من جديد) لنكون على (هذه) البنوة بالميلاد الذي تم فينا روحياً «لا من زرع يفنى؛ بل بكلمة الله الحيَّة الباقية (إلى الأبد)» (١بط ١:٢٣)، كما يقول الكتاب. وأيضاً يُعلن واحدٌ من الرسل القديسين قائلاً: «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه» (يع ١:١٨). والسيد المسيح نفسه في موضع آخر يشرح بوضوح كيفية هذا الميلاد قائلاً: «الحقَّ الحقَّ أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو ٣:٥)

وحَريٌّ بكم الآن (بعد أن تعمَّدتم) أن نكلمكم عن الأمور السرية (mysterious)، فالمسيح نفسه قد صار في نفس الوقت كُلاً من: الطريق والباب ومنبعاً للنعمة الموهوبة لنا إذ صرنا مُمجَّدين ومؤهَّلين للفوز (بالخلاص) باتخاذه لنفسه صورة (بشريتنا).

+ فبالرغم من حقيقة كونه هو الإله، وبالتالي يمتلك كامل الحرية، إلا أنه اتخذ شكل عبدٍ، ليهبنا ما له، ويُثري العبد بامتيازاته الإلهية. فهو وحده الذي بالطبيعة له السلطان الكامل (وحرية التصرف فيما له)، لأنه الوحيد ابن

الآب، أي من ذاك الذي هو الكائن الأسمى فوق الكل ويسود على الكل، والذي بالطبيعة له السلطان المطلق في كل شيء. لأن كل الأشياء التي أُتِيَ بها للوجود تخضع بعُنْق العبودية [انظر: صلاة الصلح في القداس الكيرلسي] لمن أوْجَدَها.

+ وها مرتل المزامير يتغنى له قائلا: «لأن الكلَّ عبيدُك» (مز ١١٩:٩١). ولكن طالما هو في افتقاده الإلهي لنا تنازل وأخذ على نفسه ما لنا، فقد أعطانا أيضاً ما له، ويشهد لنا بذلك بولس الفائق الحكمة خادم أسراره، عندما يكتب هكذا قائلاً: «الذي وهو الغنيُّ افتقر، حتى بفقره نغتني نحن» (٢كو ٨:٩)، والمقصود بالافتقار هنا أو أخذ ما لنا هو ارتضاء الله الكلمة بأن يتنازل ويلبس طبيعتنا البشرية: أما أَخْذُنا ما له فهو غنىً للطبيعة البشرية [انظر: ثيئوتوكية يوم الجمعة من التسبحة اليومية: "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له..."] (لأن هذا ارتفاع من الأدنى إلى الأعلى)، وواحدة من هذا (الغنى) هي كرامة الحرية؛ وهي نعمة تليق بصفة خاصة بمَنْ قد دُعوا إلى البنوَّة (الإلهية). وهذه هبة -كما ذكرت (وليست حقاً أو طبيعة) - فهو قد قال لنا: «لا تَدْعُوا إنساناً أباً لكم على الأرض: فواحدٌ هو أبوكم، الذي في السموات وأنتم جميعاً إخوة» (مت ٢٣:٩). وهو أيضاً نفسه كذلك من فرط محبته اللانهائية للبشر، لا يستنكف أن يدعونا إخوته هكذا قائلاً: «أُبشِّرُ باسمِكَ أخوتي» (مز ٢٢:٢٢). فلأنه صار شبيهاً بنا، فبهذا عينه قد فُزْنا نحن بالأُخوَّة معه. لذا يستحثنا على أن نجرؤ ونقول في صلواتنا: «أبانا الذي في

السموات». نحن أبناء الأرض والعبيد والخاضعون بحسب ناموس الطبيعة لِمَنْ خَلَقَنا، ندعو الله أباً لنا!

+ إنه لمن المناسب جداً أن نضع هذه الحقيقة في أذهان الذين يُصلُّون: إنه إذا كنَّا ندعو الله «أبانا»، وقد حُسِبْنَا جديرين بهذه الكرامة السامية حقاً، ألا ينبغي علينا بالضرورة أن نسلك سيرة مقدسة وبلا لوم تماماً، وأن نحيا هكذا كما يُرضي أبانا (السماوي)، وألاَّ نتفكر في شيء أو أن نقول شيئاً لا يليق أو يتناسب مع هذه الحرية التي مُنِحْناها؟ وهكذا يقول أحد الرسل القديسين: «وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباةٍ حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم بخوف.» (١بط ١:١٧)

+ إنه لأمر خطير للغاية أن نُحْزِنَ ونُغْضِبَ أباً (جسدياً) بالانحراف وراء الأمور غير الصالحة. فكيف يتصرف الآباء الأرضيون أو ما هو شعورهم نحو أبنائهم؟ عندما يرونهم مُلبِّين لرغباتهم سالكين ذلك الطريق الذي يرضيهم، فهم يحبونهم ويكرِّمونهم، ويرحبون بهم، ويغدقون عليهم كل ما يُرضي ذوقهم من هدايا، ويعترفون بهم كوارثين شرعيين لهم. أما إذا كانوا متمردين غير طائعين، لا يحترمون نواميس الطبيعة غير مبالين حتى ولا بالحب الفطري المغروس فينا، فإنهم، أي الآباء، يطردونهم من بيوتهم ويعتبرونهم غير جديرين بأية كرامة، أو تسامح، أو محبة؛ بل إنهم يأبون أن يعترفوا بهم كأبناء، ولا يُقرُّون بأي ميراث لهم.

+ والآن لنرتفع بتفكيرنا من هذه الوقائع (الأرضيـة) الـتي تحـدث معنـا إلى تلك السماوية التي تفوقها. فأنت تدعو الله أباً، فكرِّمه بطاعة متأهبة، وقدِّم له خضوعاً يليق به، واسلك حياة مرضية له. ولا تسمح لنفسك أن تكون عنيفـاً أو متكبراً؛ بل على النقيض، مُذعناً خاضعـاً، مستعداً بـلا أي إبطـاء أن تتبـع مشوراته، حتى يكرِّمك هو بدوره ويجعلك شريكاً في المـيراث مـع ذاك الـذي هو ابنه بالطبيعة. لأنه إذا كان قد «بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا معه كل شـيء» (رو ٨: ٣٢) بحـد تعبـير المغبـوط بولـس. ولكـن إن كنـت لا تراعــي نفسك ولا تُبالي بسخاء النعمة التي أُعطِيتَها، فقد بَرْهَنْتَ على أنك بـلا حيـاء - وإن جاز القول - بلا ملح، محباً للـذة أكـثر مـن حبـك لـلآب السـماوي. فخف إذاً لئلا يقول عنك الله أيضـاً مـا قيـل عـن الإسـرائيليين بفـم إشـعياء: «اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض لأن الـرب يتكلـم. ربَّـيْتُ بنـينَ ونَشَّأتُهُم، أما هم فَعَصَوا عليَّ.» (إش ١: ٢)

+ ثقيل على كل وجه، يا أحبائي، هو جُرْم مَنْ يعصى، وإثمٌ عظيم للغايـة أن يرفض الإنسان الله ويستهين بمحبته. فإذاً، لحكمــة بالغـة - كمـا قلـت - يمنحنا مخلِّص الكلِّ أن ندعو الله «أبانا»، حتى إذ نعرف جيداً أننـا أبنـاء الله، نحيا سيرة تليق بمَنْ كرَّمَنا؛ وهكـذا سيقبل ابتهالاتنـا الـتي نُقدِّمهـا في المسـيح: الذي به ومعه للآب، المجد والمُلْكُ، مع الروح القدس، إلى أبد الأبد آمـين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)

# ٢. ليتقدس اسمك

**طلب تقديس اسم الله،**

**مرتبط بطلب قداستنا:**

+ نحن نطلب من الله أن يكون اسمه مقدَّساً فينا... وإذ نستلهم من هذه الكلمة: «كونوا قديسين لأني قدوس» (لا ٢٠:٢٦)، نطلب - وقد تقدَّسنا بالمعمودية - أن ندوم فيما قد بدأنا أن نكونه، وهذا علينا أن نطلبه كل الأيام. إنه من الضروري أن نتقدس كل يوم، لأننا يومياً نزلُّ. ينبغي علينا أن نتطهَّر من خطايانا بتقديسٍ لا يكف أبداً.

وصورة القداسة هذه التي ينبغي أن نكون عليها بسبب التنازل الإلهي قد عبَّر عنها الرسول بقوله: «لا تضلوا لا زناة، ولا عبدة أوثان، ولا فاسقون... يرثون ملكوت الله، وهكذا كان أُناس منكم. لكن قد تطهَّرتم، بل تبررتم، بل تقدستم، باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦:٩-١١)

+ إنه يُصرِّح لنا، إذاً، أننا قد تقدسنا باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا. فنحن نلجأ إلى الصلاة حتى تدوم هذه القداسة فينا. لا عن يغيب بالنا أن ربنا حينما أبرأ الإنسان مريض بركة بيت حسدا، وأعاده إلى الصحة الكاملة؛ أوصاه ألا يخطئ فيما بعد لئلا يكون له أشرٌّ (يو ٥:١٤)؛ لذا نحن

نصلي بلا انقطاع، نصلي الليل والنهار، حتى نقدر - بمعونة الله - أن نصون القداسة والحياة التي ندين بها لنعمته الإلهية.

**القديس كبريانوس**

(من تعليمه للموعوظين)

* * *

## تقديس اسم الله، وتمجيد الله في أعمالنا:

+ هذه الطلبة جديرة بإنسان قد سبق فدعا الله أباه، ولا يلوي على شيء إلا مجد هذا الآب، زاهداً في كل شيء آخر مقابل هذا؛ لأن هذه الكلمة «ليتقدس» تعني: ليتمجدْ. الله له المجد دائماً بكمال، ودائماً يفوق الحد ودائماً باقٍ كما هو. ومع ذلك يوصي مَنْ يصلي له أن يكرِّمه بقداسة حياته، وهذا ما سبق وقاله في موضع آخر: «ليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات.» (مت ٥:١٦)

عندما يسبِّح السيرافيم الله، لا ينطقون إلا بهذا القول: «قدوس، قدوس، قدوس»، لذلك فإن عبارة «ليتقدس اسمك» تعني: ليتمجد اسمك. ليتنا نطلب من الله قائلين: اضبط حياتنا (وفق مشيئتك)، وقدِّسها (بالتمام) حتى يمجدك كل الناس عندما يروننا. وهذا هو كمال المسيحي أن يكون بلا عيب في كل

أعماله، حتى إن كل مَنْ يراه يمجد الله كما يليق به.

## القديس يوحنا ذهبي الفم

(مختارات من عظاته وتفسيراته للعهد الجديد)

* * *

**تقديس اسم الله في قديسيه المتواضعين:**

+ ليت شعب الله الجديد المدعو إلى ميراثه الأبدي يدعو بصوت العهد الجديد قائلاً: «أبانا الذي في السموات»، أعني به: الذي في القديسين وفي الأبرار. لأن الله ليس محصوراً في مكان...

+ أما إذا تخيَّل أحدٌ أن الله يسكن في مكان ما، كأن نقول في أعلى ما يكون من هذا الكون، فينبغي أن نقول بالتالي أن الطيور أكثر قيمة منا: لأنها ستكون عائشة أكثر قرباً من الله. إنه لم يُكتب إن الله قريب من المرتفعين أو من العائشين على الجبال العالية؛ بل: «إن الله قريب من ذوي القلب المنسحق والروح المتضع».

وكما يُدْعى الخاطئ أرضاً وتراباً عندما يُقال: «أنت تراب وإلى التراب تعود»؛ كذلك أيضاً يمكن أن يدعى البار أو الصدِّيق سماءً بناءً على ما قيل لهم: «لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو». فإذا كان الله يسكن في هيكله، وإذا كان القديسون هم هذا الهيكل فبالتالي، بديهياً، يمكننا أن نأخذ عبارة: «الذي في السموات» بمعنى: «الذي في القديسين»...

+ نحن في الواقع نطلب من الـرب أن يتقـدس اسمـه فينـا لأنـه هـو في ذاتـه قدوس (وغير محتاج أن نطلب له القداسة)، إن اسمه هو الذي يصيِّرنا قديسين، واسم الله هو دائماً تعبير عن الله نفسه...

+ نحن نطلب أن تراعى قدسية اسـم الله مـن جهـة البشـر؛ أي أن يعـرف الناس الله (ويحبوه) إلى الدرجة التي فيها لا يقدسـون أو يهـابون شيئاً مـا (أو شخصاً ما) أكثر منه. وإذا كان قد كُتب: «الرب معـروف في يهـوذا، واسمـه عظيم في إسرائيل»، فلا نعتقد أو نظن أن الله أقـل عظمـة هنـا وأكـثر عظمـة هناك؛ بل فقط أن اسمه عظيم هناك حيثما يُنطق بالهيبة اللائقـة بعظمتـه الإلهيـة وجلاله. وهكذا يتقـدس اسـم الـرب هنـاك حيـث يُذكـر بـالتكريم والخشية المصحوبين بالتقوى. وهذا ما زال يحـدث حتـى الآن، فحينمـا تسـري تعـاليم الإنجيل بين الأمم المختلفة، يتكـرم (ويتقـدس) اسـم الله الواحـد بتوسـط ابنـه (الوحيد)...

## القديس أغسطينوس

(من تعليمه للموعوظين، وتفسيره للعظة على الجبل)

* * *

+ كل الذين يتوقون لوعود الله المقدسة ها صـوت إشـعياء النـبي ينـاديهم قائلاً: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى الميـاه» (إش ٥٥: ١)، لأن كـل مَـنْ أراد فيمكنه أن يستقي من الينبوع المحيي. ومَنْ هو يا ترى هذا الينبوع؟ بكل يقـين هو المسيح وتعاليمه. لأنه هو نفسه قد قال في موضع ما: «مَنْ يعطش فلْيُقْبِـلْ

إليَّ ويشرب» (يو ٧:٣٧). فلنأتِ نحن أيضاً إلى هذا الينبوع لنروي أرواحنا العطشى ونُشبع نفوسنا الجائعة من روضة تنعماته. فداود المبارك يتحدث عنه في المزامير مخاطباً الله الآب: «يُرْوَوْنَ من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة» (مز ٨:٣٦)، لأن نهر النعم الفائض لنا بوفرة، وكذلك ينبوع الحياة كلاهما في المسيح، الذي قال على فم واحدٍ من أنبيائه مشيراً إلينا هكذا: «ها أنذا أُدير عليها سلاماً كنهرٍ ومجدَ الأممِ كسيلٍ جارف» (إش ٦٦:١٢). فانظر كيف أن المسيح يروينا بفيض نِعَمِه ويغمرنا ببركاته الروحية. فماذا يريد أن يلقِّننا من تعليم في هذه المناسبة؟

+ يقول لنا الرب: «متى صلَّيتم فقولوا: أبانا (الذي في السموات) ليتقدس اسمك». ولعلكم تذكرون ما تحدثنا به إليكم قبلاً وتكونون قد انتفعتم بعض الشيء عندما شرحنا لكم بأي وجه حقٍّ يسوغ لنا أن نقول (للآب السماوي) «يا أبانا». وأظن أنكم لا تنسون ما سبق وقلته لكم، إذ أنا أعرف أنكم غيورون في سماع التعليم. وحتى لا نكرِّر ما قلناه، لئلا يكون ذلك مملاً للسامعين اليقظين الذين يخبئون في كنز قلبهم كل ما قد فهموه، ويُريدون دائماً أن يسيروا قُدُماً، ننتقل إلى الفقرة التالية، أعني بها: «ليتقدس اسمك»، لنتبين معاً على أي وجه ينبغي أن نَفْهَمَ هذه أيضاً.

+ فهل نحن نطلب مزيداً من القداسة يمكن أن تُضاف لله كلِّي القداسة؟ وكيف يكون هذا غير معقول على الإطلاق؟ ذلك أن الله كلِّي الكمال وغيرُ مُعْوَزٍ لشيء، لأن من صفات الألوهة كمال الوجود حتى الملء (في كل ما هو

خير وصالح). فهو مانح القداسة للخليقة من «ملئِهِ» (أي من كماله) هو الخاص؛ والملء لا يقبل المزيد. لأن كل شيء هو له، وهو بالغٌ أعلى الكمال في كل صلاح، لأن هذه أيضاً إحدى خواص طبيعته. وعلى ذلك، فمن الجهل والسخف بمكان أن يتوهم مَنْ يصلُّون أنهم يقدِّمون توسلاتهم لا من أجل تقديس أنفسهم؛ بل عن الله. فماذا يكون إذاً معنى «ليتقدس اسمك»؟

+ نقول إن البشر لا يمكن أن يبتهلوا من أجل المزيد من القداسة تُضاف لله العليِّ على الكل، لأنه مَنْ هو الأكبر منه حتى يكون قادراً على أن يعطيه أو يزيده شيئاً؟ «لأنه بلا أدنى شك الأصغر يُبَارَك من الأكبر» (عب ٧:٧)، وإنما نحن نتوسل عن أنفسنا وعن البشرية كلها أن نُمنَحَ هذه القداسة. لأنه من حيث أن يقيننا وإيماننا الراسخ أن الذي هو بالطبيعة الله العلي على الكل، هو قدوس القديسين، فبالتالي نحن نعترف بمجده وجلاله الفائقين، حتى نكون على وعي بمهابته، فنسلك الطريق المستقيم ونحيا الحياة التي بلا لوم، حتى إذ نصير نحن أنفسنا هكذا قديسين يمكننا أن نكون قادرين على التقرُّب من الله القدوس، فإنه مكتوب: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (لو ١١:١٤)؛ وقد قال أيضاً مرة لموسى معلم الناموس: «إني أتقدَّس في مَنْ يقتربون مني.» (لا ١٠:٣)

+ فمعنى هذه الصلاة إذاً هو «ليت اسمك يبقى مقدَّساً فينا»، في أذهاننا وإراداتنا، فهذا هو مفهوم هذه الكلمة: «ليتقدَّسْ». وكما أن مَنْ يعاني من مرض في بصره الجسدي ولا يقدر على الرؤية إلا قليلاً وبصعوبة، فمتى صلَّى

قائلاً: «يا رب الكل، يا ليتك تسمح بأن ضوء إشراق الشمس ينير لي»، فلا يمكننا أن نقول على مثل هذا أنه يتوسل من أجل الشمس؛ بل أكيداً من أجل نفسه: كذلك أيضاً إذا صلّى إنسانٌ قائلاً: «أبانا الذي في السموات، ليتقدسْ اسمك»، فهو بهذا لا يتطلب إضافة شيء إلى قداسة الله؛ ولكنه يطلب أنه هو نفسه يقتني مثل ذلك الذهن (الروحي) والإيمان، اللذين بهما يعي كرامة وقداسة اسم الله. فهذا الفعل (أي التقديس) هو مصدر الحياة (الأبدية)، وأساس كل بركة (روحية): فإذا كان قد صار للإنسان هكذا انعطافٌ نحو الله، فكيف لا يكون هذا مدعاة لأسمى كرامة؛ وأفضل طريق لخلاص النفس؟

+ ولكن لا تظن أن الذين لهم دالة المحبة وهم غيورون في توسلاتهم لله أنهم يطلبون منه مثل هذه الأمور لأجل أنفسهم فقط؛ بل اعلم أنهم يهدفون من طلبهم أن يشمل كل المسكونة: من أجل كل الذين قد آمنوا من قبل، ومن أجل كل الذين لم يقبلوا الإيمان بعد، ولم يأتوا إلى معرفة الحق بعد؛ بل أيضاً من أجل الذين سبقوا فآمنوا، فإنهم يطلبون لهم الثبات في الإيمان، لكي يتمتعوا بأمجاد الحياة الفُضْلَى. أما عن الذين لم يصيروا بعد مؤمنين، فهم يطلبون من أجل أن تصل لهم الدعوة وتنفتح أعينهم (الداخلية)، وهم في هذا إنما يتبعون أثر خطوات الرب يسوع المسيح الذي بحسب كلام الرسول يوحنا هو: «الشفيع عند الآب، وهو كفَّارة لخطايانا، وليس لخطايانا فقط؛ بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو ٢: ١)، فهو الذي يطلب بدالَّة (من الآب) عن القديسين، ومن أجل كل العالم، ويريد من تلاميذه أن يتمثلوا به. فإذاً، عندما

نصلي للآب قائلين: «ليتقدسْ اسمك»، فنحن نضع في الاعتبار أن بين أولئك الذين نطلب لأجلهم مَنْ لم يدركوا بعد نور الحق ولم يُقْبلُوا بعد إلى الإيمان، مَنْ يستهينون باسم الله ولم يتكشف لهم بعد قداسته وكرامته ومهابته؛ ولكن حالما يُشرق عليهم نور الحق، ويستفيقون بالجهد كما من نوم عميق في ليلة حالكة الظلام، وإذ يبدأون في التعرُّف على الله ويتلامسون مع عظمته الفائقة، يسلِّمون بأنه (حقاً وفعلاً) هو «قدوس القديسين»، ومن ثمَّ يكون لهم علاقة صميمية معه وإيمان واثق.

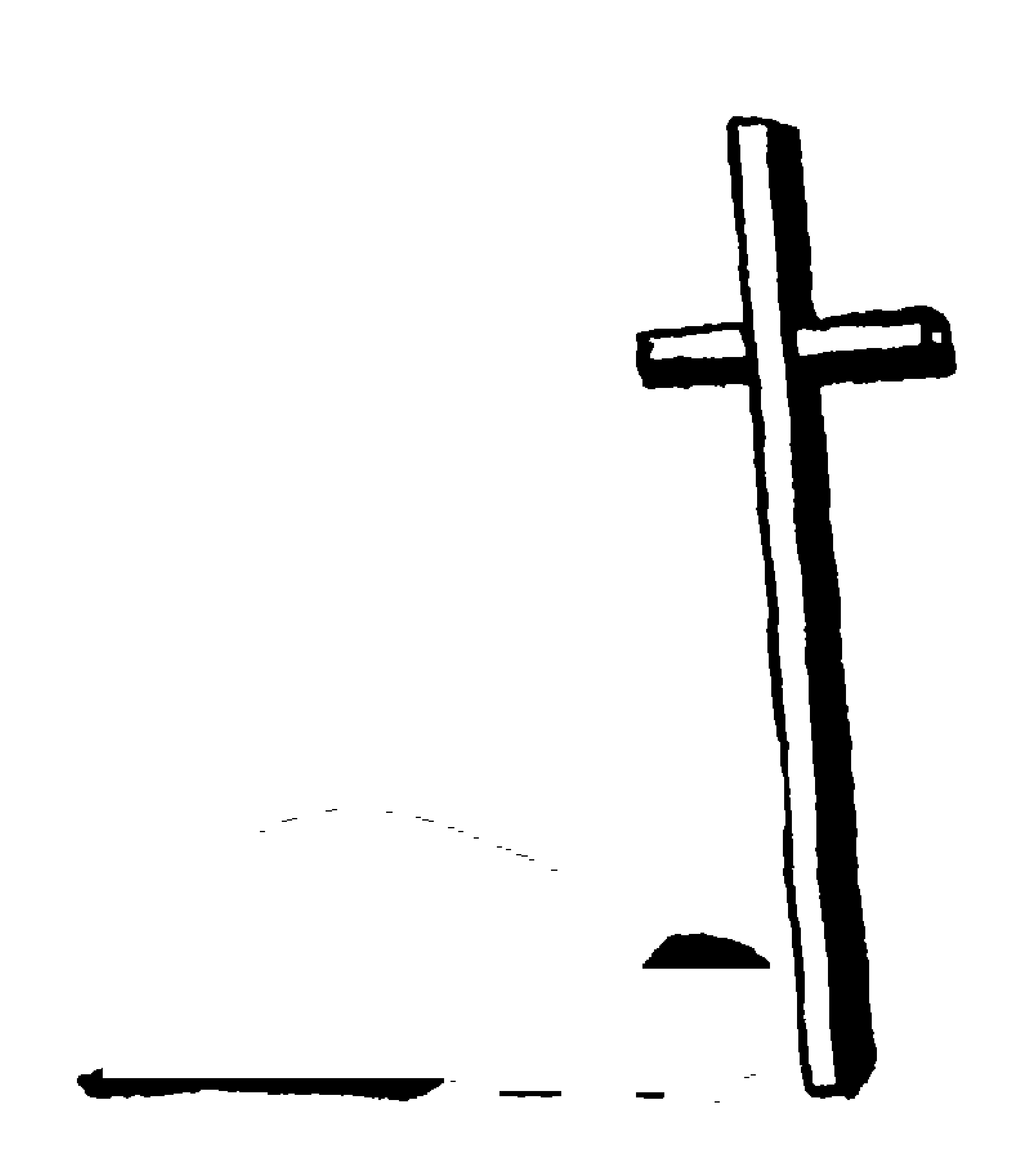
+ إذاً فمعنى تقديسنا لاسم الله هو اعترافنا بأنه «قدوس القديسين»، وكمال قداسته في غير ما حاجةٍ إلى إضافة من جهتنا. قال واحدٌ من الأنبياء القديسين: «قدِّسوا الرب فيكون مخافتكم، آمنوا به فيصير قداستكم» (إش ١٣:٨ - بحسب السبعينية)، أي: آمنوا أنه قدوس فحينئذ تهابونه: وهكذا (من خلال هذه المهابة) سيصير هو نفسه قداسة لكم. وقد كُتب عن المسيح مخلِّصنا جميعاً: «قدِّسوا ذاك الذي قد استهان بنفسه» (إش ٤٩:٧ - بحسب السبعينية)، لأنه قد استهان بنفسه عندما لم يعمل لحياته حساباً، واضعاً إياها من أجلنا. ولكن عندما يقول: «قدِّسوه»، أي: اعترفوا بأنه قدوس، لأنه هو هكذا بالطبيعة كونه هو الإله ابن الإله، لأن القداسة جوهرياً لا يمكن أن تكون بالطبيعة لأيٍّ من الأشياء التي أُوجدَت من العدم؛ بل هي من ماهية الكائن الأسمى الذي يفوق سائر المخلوقات. فبإيماننا أنه بالطبيعة قدوس - لأن هذا هو معنى تقديسنا له - نعترف بالتالي أنه هو الله.

+ إذاً، من أجل أنفسنا نحن لا من أجل الله نحن نطلب قـائلين: «ليتقـدسْ اسمُك»، لأنه إذا تسلَّحنا بهذه النية وقدَّمنا طَلِباتٍ مثل هذه بذهن واعٍ، فـا لله الآب سيستجيب لنا والمسيح معه سيباركنا. الذي بـه ومعـه، لله الآب، المجـد والسلطان، مع الروح القدس إلى أبد الأبد، آمـين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)

❑ ❑ ❑



# ٣. ليأتِ ملكوتك

## المسيح هو ملكوتنا:

+ نحن نطلب أن يكـون الملكـوت حـاضراً عندنـا كمـا سبقنا وابتغينـا أن يتقدس اسمه فينا. ولكن كيف يكــون ذلـك؟ ألا يكـون ذلـك بـأن يملـك الله علينا؟ ومتى يمكن أن يبدأ الله الدائم الوجــود واللانهـائي في أن يملـك علينـا؟ نحن في الواقع نصلي طالبين إتيان الملكوت الموعود به، هذا الذي آل إلينا بـدم الرب يسوع المسيح وبآلامه. قبلاً كنا عبيداً أرقـاء، والآن نحـن مطـالبون بـأن نملك تحت سلطان المسيح وفي مملكته هذه التي وعدنا بها هو نفسه عندما كان يقول: «تعالوا إليَّ يا مباركي أبي رثوا المُلك المُعد لكـم منـذ تأسـيس العـالم» (مت ٢٥: ٣٤). قد يعني ملكوت الله أيضاً المسيح نفسه شخصياً، فهو الـذي نناديه كل يوم في أدعيتنا، ونودُّ أن يسرع في مجيئه ليحقق رجاءنـا. فكمـا أنـه هو قيامتنا - لأننا به وفيه نقوم - فهو يمكن أن يكون أيضاً ملكوت الله لأننـا فيه وبه نملك أيضاً.

بحق نحن نطلب ملكوت الله، الذي هــو أيضــاً ملكـوت السـموات، وهـو يشمل ضمناً كل ممالك الأرض. ولكن الذي زهــد في أمـور هـذا الدهـر فقـد ارتفع فوق كرامته وممالكه؛ لذلك فإن مَنْ صـار تابعـاً لله وللمسـيح لا يعـود يبتغي أبداً ممالك الأرض بل ملكوت السموات.

نحن في حاجة أن نصلي بلا انقطاع أن لا نفقد هذا الملكوت (بالرغم من أننا وُعدنا به) لئلا ينطبق علينا ما قاله الرب: «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٨: ١١و١٢)... لأننا عندما نفقد بنوَّتنا لله (يتوقف إيماننا)، سنفقد بالتالي تبعيتنا لملكوته. لذلك فنحن المسيحيين الذين في صلاتنا قد دعونا الله «أبانا»، نصلي أيضاً أن يأتي ملكوته إلينا وفينا.

**القديس كبريانوس**

* * *

### «ليأتِ ملكوتك» يرادفها الشوق للسماويات:

+ «ليأتِ ملكوتك»: هذه هي صلاة أبناء الله الذين لا يتشبثون قط بالأمور المنظورة، ولا يؤثرون قط الخيرات الحاضرة؛ بل يتلهفون دائماً إلى أبيهم السماوي، ويتوقون إلى الخيرات العتيدة. هذا هو دأب الوعي الروحي السليم للنفس المتحررة من الأرضيات. وهذه هي مُنْية القديس بولس (الرسول) الدائمة التي كان يعبِّر عنها قائلاً: «نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨: ٢٣). وكل مَنْ قد اضطرم بهذا الشوق، فلن يقدر بعد أن يثقِّل نفسه بتنعيمات هذا

العالم الزائلة ولا أن يهبط إلى شروره؛ بل يصير كمَنْ يحيا مُسْبَقاً في السماء...

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

(من شرحه للعظة على الجبل)

* * *

### «ليأتِ ملكوتك» تضاد التعلق بالأرضيات:

+ «ليأتِ ملكوتك»: نحن في حاجة إلى سيادة الله بسبب طغيان الشهوات الجسدية علينا وبسبب التجارب العديدة التي تهاجمنا، لئلا تملك الخطية في الجسد المائت وتستعبده للشهوات الكثيرة، وحتى لا تصير أعضاؤنا آلات إثم للخطية؛ بل تكون آلات بر في يدي الله، ونصير نحن ضمن جيش مَلِك السموات. هذه الكلمة «ليأتِ ملكوتك» تعلّمنا أيضاً ألاّ نبالغ في التعلق بهذه الحياة الفانية؛ بل أن نسمو فوق كل الأشياء الحاضرة ونتوق إلى تلك الأمور الآتية، وهي التي وحدها تبقى ثابتة، ونحن نطلب ملكوت السماء الأبدي، ولا نبني سعادتنا على الأشياء الوقتية التي تسرنا هنا: لا على حُسن الأجساد، ولا في وفرة الثروات، ولا في كثرة الممتلكات، ولا في التزين بالمجوهرات، ولا في فخامة القصور، ولا في مظاهر العظمة والجاه بلبس البرفير والتيجان، ولا في المآدب وأطايب الأطعمة ولا في أي ملذات أخرى مهما كانت؛ بل علينا أن نتنازل عن كل هذه الخيرات الزائلة ونستهين بها، حتى

نُصوِّب كل جهودنا نحو ملكوت الله وحده.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

من عظة له عن: «الباب الضيق»

* * *

**الملكوت هو نعمة الحياة الصالحة:**

+ «ليأتِ ملكوتك»: أيَّ ملكوت هذا الذي نعنيه؟ وهل لا يأتي الملكوت ما لم نطلبه؟ وهل يقصد هنا ملكوت الله الذي سيأتي في نهاية العالم؟ ولكن الله دائماً مَلِكٌ (بل وملك الملوك)؛ ولم يكن قط بدون ملكوت، وهو الذي يخضع له الكون كله.

إذاً ما هو الملكوت الذي نترجى إتيانه؟ هو الذي يعنيه الإنجيل عندما يقول: «تعالوا يا مبارَكي أبي رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥: ٣٤). هذا هو الملكوت الذي تشير إليه هذه الكلمة: «ليأتِ ملكوتك». نحن نطلب أن يأتي هذا الملكوت فينا، ونطلب أن نوجد نحن أيضاً فيه. هذا الملكوت سيأتي بلا أدنى ريب، إلا أنه ستكون خسارة فادحة لنا أن نوجد عن اليسار. إذاً فرجاؤنا هو أن نعمل من الآن لآخرتنا الصالحة، فلمنفعتنا نحن نصلي ونطلب نعمة الحياة الصالحة هذه، حتى يكون لنا يوماً ما نصيبٌ في هذا الملكوت المُعد لكل القديسين. فهي إذاً نعمة الحياة الصالحة التي

نطلبها عندما نقول: «ليأتِ ملكوتك». ليتنا نكون لائقين لهذا الملكوت! وليته يأتي إلينا، كما يأتي لكل القديسين والأبرار.

+ طلبنا أو لم نطلب، فهذا الملكوت سيأتي يقيناً. لكن ملكوت الله هو أزلي أبدي؛ فمتى لم يكن الرب يملك؟ ومتى بدأ يملك؟ إن ملكوته لا بداية له ولا نهاية. ولكن لنكن على يقين أيضاً أنه من أجل أنفسنا لا من أجل الله نحن نطلب هذه الطلبة: «ليأتِ ملكوتك». نحن لا نقول: «ليأتِ ملكوتك» كما لو كنا نرجو له الملكوت؛ بل إننا نحن أنفسنا سنكون ملكوته، لو أننا ترقّينا في محبته بالإيمان؛ وكل المؤمنين المفديين بدم ابنه الوحيد سيكونون رعايا هذا الملكوت.

وملكوت الله هذا سيأتي بعد قيامة الأموات، لأنه حينذاك سيأتي هو نفسه شخصياً ليملك إلى الأبد.

**نطلب أن نكون لائقين بملكوته:**

+ إنه سيأتي لا محالة، فأن نتمنى ونطلب أن يأتي ملكوته، فهذا يعني أننا نتمنى أن يجعلنا لائقين بملكوته؛ لأنه إن لم يرضَ الله؛ فإنه يمكنه أن يجعل ملكوته يأتي ولكن ليس لنا؛ إنه سيأتي من أجل أولئك الذين سوف يُقال لهم: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم». لكنه لن يأتي لأولئك الذين سيخاطبهم قائلاً: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية.» (مت ٢٥:٣٤و٤١)

**سيأتي الملكوت في حقيقته الأخروية:**

+ الرب نفسه يعلّمنا أن يوم الدينونة سيأتي بعد أن يبشَّر بالإنجيل لكل الأمم؛ وهذا ما يشير إليه معنى تقديس اسم الله، «ليتقدس اسمك». وهنا يمكن أن تعني هذه الكلمات: «ليأتِ ملكوتك»، أي «ليأتِ» على الأرض... أي ليُستعلن للناس. فالنور مع كونه حقيقة محسوسة إلا أنه يمكن أن يصير غير موجود بالنسبة لمكفوفي البصر أو عند الذين يغمضون أعينهم؛ كذلك بالمثل ملكوت الله، ولو أنه حقيقة مقررة وثابتة الوجود على الأرض إلا أنه عند الذين يجهلونه هو حقيقة غائبة. ولكن لن يكون في مقدور أحد أن يتجاهل ملكوت الله عندما يأتي الابن الوحيد من السماء، بهيئة منظورة وفي صورة إنسانية وليس فقط بهيئة روحية، وذلك ليدين الأحياء والأموات.

وبعد هذه الدينونة، أي بعد فرز الصالحين من الأشرار، حينذاك سيسكن الله في الأبرار، حتى إنهم لا يعودون في حاجة بعد إلى أن يتعلموا من بشر، ولكن الجميع، كما هو مكتوب، سيكونون متعلمين من الله (إش ٥٤:١٨، يو ٦:٤٥).

وعندئذ سينعم القديسون بالحياة الممتدة فيهم إلى الأبد، مثل ملائكة السماء الذين يحيون في عمق القداسة وفي عمق الغبطة، وسيستنيرون بالله وحده، ومنه سينعمون بالفهم الحقيقي، حسبما وعد الرب نفسه خواصه

قائلاً: في القيامة سيكونون كملائكة الله في السماء (مت ٢٢: ٣٠).

**القديس أغسطينوس**

(من شرحه للصلاة الربانية في عظاته من ٥٦-٥٨)

* * *

+ أولئك الذين يُولعون بالغنى الأرضي، وينصرفون دائماً إلى جمع المال، ولا يألون جهداً في اتخاذ كل ما أمكَنهم من وسيلة لتحقيق رغباتهم المنشودة؛ ينتهي مسعاهم إلى عاقبة غير مُرضية؛ وكما يقول المخلِّص: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه.» (مت ١٦: ٢٦)

+ أما مَنْ يحبون كلمة الخلاص، وينقّبون الأسفار الإلهية كمَنْ يبحث عن كنز، ويفتشون باهتمام عن الأمور الخفية التي فيه؛ فإنهم حتماً سيجدون المعرفة المحيية التي تقودهم إلى كل مطلب فاضل وتكملهم في معرفة الحق.

+ إذاً، فلنُنَقِّبْ نحن عن معنى الآية (من الصلاة الربانية) التي أمامنا، وغايتنا هي أن نفهم جيداً ما أوصى به المخلِّص، فقد قال إنه ينبغي علينا عندما نصلي أن نُقدِّم هذه الطلبة: «ليأتِ ملكوتك». ومع أن المسيح يملك على الكل مع الله الآب؛ ولا يمكن أن يُضاف إلى مجده الكوني شيء، كأن يُزاد له من الخارج أو كأن يُعطى له بواسطة آخر، ولا أن ينمو معه مع تعاقب الزمن، لأن مجد ملكوته قائم معه بلا بداية ولا نهاية، فهو كائن منذ الأزل وما يزال بما كان عليه. وكونه هو إله بالطبيعة وبالحق، فهو بالتالي كلّي

القدرة، وهذا السلطان مُلازم لألوهيته التي لا بداية لها ولا نهاية؛ وهكذا أيضاً يقول واحدٌ من الأنبياء القديسين: «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (خر ١٥:١٨)، والمرنم الإلهي يتغنى قائلاً: «ملكوتك (يا رب) ملكوت أبدي» (مز ١٤٥:١٣)، وأيضاً: «الله ملكنا منذ القِدَم.» (مز ٧٤:١٢)

+ فإذا كان الله دائم الملوكية وكلّي القدرة، فبأي معنى نُقدِّم توسلاتنا لله الآب ونقول: «ليأتِ ملكوتك»؟

يبدو لي أننا نقولها بمفهوم أننا نترجى مجيء المسيح مخلّص الجميع ثانية ليُشرق على العالم بنوره. فهو يقيناً سيأتي، سيأتي وينزل كديَّان، ولكن ليس بعد في هيئتنا المتواضعة ولا في طبيعة بشرية حقيرة؛ ولكن في مجده كما يليق به كإله حالٌ في نور لا يُدنى منه، تحيط به جوقة من الملائكة. فهكذا هو نفسه قد قال في موضع ما إن «ابن الإنسان سيأتي في مجد أبيه مع ملائكته القديسين» (مت ١٦:٢٧).

+ ومن المناسب أن أُضيف إلى هذا أيضاً: أنه في نهاية هذا العالم سينزل الرب من السماء، ولكن لا ليُعَلِّم فيما بعد الذين على الأرض، كما فعل في القديم، ولا أيضاً ليريهم طريق الخلاص - فأوان هذا سيكون قد فات - ولكنه سينزل ليدين العالم. والحكيم بولس أيضاً يشهد لما أقول، معلناً هذا: «لأنه لابدَّ أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢كو ٥:١٠)

+ القديسون، إذاً، يطلبون سرعة مجيء المُلْك الكامل للمخلِّص، لأنهم جاهدوا كما ينبغي وصاروا أنقياء السريرة، وهم يتوقعون المجازاة الحسنة لما فعلوا من خير. فهُم كمَنْ ينتظرون عيداً وفرحاً على وشك المجيء وقرب الظهور، يتأهبون ويتلهفون لاستقباله. لأنهم يثقون أنهم سيتمجدون في حضرة الديَّان وأنهم سيسمعونه قائلاً لهم: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدَّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥: ٣٤). لقد كانوا وكلاءَ حكماءَ غيورين عندما أقامهم الرب على أهل بيته ليقدِّموا لهم الطعام في حينه. إنهم، بلطف وفطنة، وزعوا على العبيد رفقائهم مما قد نالوه هم أنفسهم واغتنوا به من قبل؛ لأنهم وضعوا في بالهم قول الرب: «مجاناً أخذتم، مجاناً اعطوا» (مت ١٠: ٨). عندما أخذوا منه الوزنة(١) لم يطمروها في الأرض... بل تاجروا بها وربحوا كثيراً وقدموها مع ربحها قائلين: «يا سيد، وَزْنَتُك قد ربحت عشر وزنات» (لو ١٩: ١٦)، فنالوا حظوة أكثر كرامة. لقد كانوا ذوي غيرة قلبية حادة، ونية مستقيمة شُجاعة فلبسوا سلاح الله الكامل: درع البر، وخوذة الخلاص، حاملين سيف الروح. لأنه لم يَغِبْ عنهم

---

(١) الوزنة من الفضة أيام المسيح تساوي ما يقابل الآن ٢٥٠ أو ٣٤٠ جنيهاً، والوزنة من الذهب تساوي عشرة آلاف جنيهاً تقريباً.

أنهم قائمون للحرب، لا مقابل لحم ودم؛ بل ضد رؤساء وقوات يسودون على عالم ظلمة هذا الدهر، ضد أرواح الشر المنبثّة تحت قبة السماء (أف ٦:١٢).

+ فكثيرون هم الذين يُعقد لهم أكاليل الشهادة، وهم باحتمالهم المضايقات حتى بذل الحياة وسفك الدم قد صاروا «منظراً للعالم، للملائكة والناس» (١كو ٤:٩)، وحُسِبوا مستحقين لكل تمجيد. وآخرون صبروا على الأتعاب والاضطهادات مجاهدين بغيرة حارة لأجل مجد الله... إلا أنهم لم يستكثروا آلامهم، لأنهم كانوا يتطلعون إلى الرجاء الذي كان لهم في المسيح. فلم يكن مجهولاً لديهم أنهم إن كانوا «يتألمون من أجله فإنهم سيملكون معه» (٢تي ٢:١٢). إنهم قد تيقّنوا أنه في وقت القيامة الأخيرة «سيغيِّر شكل جسد تواضعهم ليكون على صورة جسده الممجد» (في ٣:٢١). إنهم آمنوا تماماً بما قاله الرب عن نهاية العالم، أنه عندما يستعلن لهم ثانية من السماء «سيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم.» (مت ١٣:٤٣)

+ إذاً، فيسوغ لهم بحق أن يقولوا في صلواتهم: «ليأتِ ملكوتك». لأنهم يشعرون بالثقة أنهم سينالون مجازاة شجاعة إيمانهم، وسيبلغون غاية رجائهم الموضوع أمامهم.

+ ليته يكون لنا نحن أيضاً نصيب معهم لنوجد مستحقين لهذا الميراث العظيم في المسيح؛ الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح

القدس، إلى أبد الآبدين، آمــين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)

***



# ٤. لتكن مشيئتك
# كما في السماء كذلك على الأرض

## الطاعة لله وإشباع مطالب الروح

+ نحن نصلي أن تتم مشيئة الله فينا: وعندما نضيف قائلين: لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء، ليس ذلك أن يفعل الله ما يريد، ولكن بالأحرى أن نقدر نحن على عمل ما يريده هو. ومَنْ يقدر أن يمنع الله عن عمل ما يريد؟ أما نحن فإن عدو الخير يتربص بنا ويعوقنا عن مقصدنا، ويحاول أن يمنعنا، في كل شيء، ومن الداخل ومن الخارج، عن الإذعان لإرادة الله.

+ فنحن نطلب أن تتم مشيئته فينا، وهذا يحتاج إلى معونته (الإلهية). ذلك لأن ليس أحدٌ يستمد قوته من إمكانياته الذاتية، ولكن قدرتنا هي من جود الله ورأفته.

الرب نفسه أبان الضعف الذي لبسه (بإرادته) عندما قال: «يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس» (مت ٢٦: ٣٩)! ولكي يبرهن لتلاميذه أنه لم يكن يعمل مشيئته الخاصة؛ بل مشيئة الله، أضاف قائلاً: «ولكن لتكن لا

إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢:٤٢). وفي مكـان آخـر يحـدد بدقـة: «لأنـي قـد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي؛ بل مشيئة الذي أرسلني.» (يو٦:٣٨)

فإذا كان «الابن» نفسه قد اهتـم أن يعمـل مشـيئة «الآب»، فمـا أحـرى بالعبد أن يبادر بعمل مشيئة السيد، كما يحثنا القديس يوحنا في رسالته قـائلاً: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبَّ أحدٌ العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة، ليـس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الـذي يصنـع مشـيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو ٢:١٥-١٧). فمَنْ أراد أن يثبـت إلى الأبـد فعليـه أن يعمل مشيئة الله الذي هو أبديٌّ.

+ مشيئة الله هي تلك الـتي كـان المسيح يعملهـا ويعلِّمهـا: وتلـك هـي: تواضـع السـيرة، صلابـة الإيمـان، الوداعـة في الكـلام، الحكمـة في التصـرف، الشفقة في المعاملات، رزانة الأخلاق، عدم الإضرار بأحد، احتمال المضرَّة التي تأتي علينا من الآخرين، مراعاة السلام مع الإخوة، محبة الله من كـل القلـب، نحبه لأنه أب، ونخافه لأنه إله؛ لا نُفضِّل شيئاً عن المسيح؛ لأنه فضَّلنا على كل شيء، أن نكـون راسـخين في محبتـه بعهـد لا ينفسـخ، ثـابتين تحـت الصليـب بشجاعة وثقة! وعندما تقوم علينا حرب من أجل اسمه أو إكرامه؛ فليكـن لنـا رباطة الجأش مقابل كل المصاعب، حتى يمكن أن نتحمل الجهاد حتى النهاية؛ والصبر حتى الموت لنفوز بـالإكليل المُقـدَّم: هـذا هـو معنـى الإرادة أن نكـون وارثين مع المسيح، متممين الأمر الإلهي، عاملين مشيئة الله.

+ نحن نطلب أن تتم مشيئة الله في السماء، وكذلك على الأرض لأن كليهما يساهمان في تكميل خلاصنا. فالجسد هو من الأرض، والروح من السماء، فنحن إذاً سماء وأرض. ونحن نصلي أنَّ في الأولى والأخرى، أي في جسدنا كما في روحنا، تكمل مشيئة الله. وحيث أنه يوجد عراك وتصادم يومي بين الاثنين اللذين يتنازعان؛ فنحن لا نفعل ما نريده: فالروح تطلب ما هو سمائي وإلهي؛ أما الجسد فيجري وراء ما هو أرضي زمني. فنحن أيضاً نطلب بلجاجة أن تتدخل معونة الله وتصالح الاثنين حتى تكمل مشيئة الله في الروح وفي الجسد معاً، وتفوز النفس التي جدَّدها الله بالخلاص.

وهذا ما يؤكده القديس بولس بوضوح:

+ «لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاومان أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون... وأعمال الجسد ظاهرة التي هي: زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة أوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزُّب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سُكر، بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. وأما ثمر الروح فهو: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.» (غل ٥:١٧ و١٩-٢٣)

من أجل هذا نحن نطلب في صلواتنا كل يوم؛ بل كل ساعة، أن تتم مشيئة الله في السماء كذلك على الأرض، لأن مشيئة الله، هي أن تفسح الأرضياتُ المكان للسمائيات في حياتنا، وأن يكون نصيب الروح والله هو الغالب.

**القديس الشهيد كبريانوس**

* * *

## كيف يتم التوافق بين الروحاني والجسدي

**«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»:**

+ يمكن أن تُفهم بمعانٍ أخرى: فالسماء يمكن أن تؤخذ بمعنى: روحنا، والأرض: جسدنا. إن قول الرسول: «بالروح (أجد نفسي) خاضعاً لناموس الله، أما بالجسد فلناموس الخطيئة»، يعني أن إرادة الله تتم في السماء، ولكن ليس بعد على الأرض. أما عندما يبدأ الجسد في التوافق مع الروح، ويبتلع الموت بالنصرة؛ فلا تعود أية رغبة جسدية تقاوم الروح، وكل شقاق على الأرض يكف بل وكل خلاف، وتنتهي أيضاً الحالة التي وصفت بهذا القول: الجسد يقاوم الروح، والروح أيضاً مقابل الجسد؛ فالاثنان يتنازعان، حتى إنكم تفعلون ما لا تريدون؛ فعندما تكف حالة الحرب هذه، وتخلي الشهوة مكاناً للمحبة؛ عندئذٍ لا يعود الجسد بعد يفعل شيئاً يتعارض مع الروح، ولا شيئاً مما ينبغي أن يُقمع، أو يُمنع، أو يُمحق؛ والإنسان بكليته يسير بتوافق

وانسجام في طريق البر، ومشيئة الله تتم في السماء وعلى الأرض، وعندئذٍ تكون «لتكن مشيئتك» هي حالة الكمال التي نبتغيها بهذه الطلبة.

ثم أيضاً بقولنا: **«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»**، يمكن أن تؤخذ بمعنى أنه يوجد في الكنيسة أُناس روحانيون، فهم السماء؛ ويوجد أيضاً أُناس جسدانيون، فهم الأرض. فإذاً، صلاة «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»: أي كما يعبدك **الروحانيون بأمانة، فليت أيضاً الجسدانيين يكملون ويؤدون نفس العبادة.**

**«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»**. هذه الكلمات يمكن أن تؤخذ أيضاً بمعنى آخر تَقَوي جداً: نحن قد تقبَّلنا الوصية أن نصلي من أجل أعدائنا. فالكنيسة هي «السماء»، وأعداء الكنيسة هم «الأرض»: فبأي مفهوم نقول: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»؟ أي: ليت أعداء الكنيسة يؤمنون بك كما نؤمن نحن! وليتهم يصبحون أحباءنا ويلقون عنهم سوء الظن الذي يضمرونه من نحونا. إنهم أرض (أي متمسكون بالأرض والأرضيات)، فمن أجل ذلك هم يناوئوننا؛ فيا ليتهم يصبحون سماءً، فننطلق معاً في مسيرة واحدة.

**القديس أغسطينوس**

(٣٥٤-٤٣٠م)

مختارات من شروحاته المتعددة للصلاة الربانية

* * *

## الشفاعة من أجل المقاومين

### شرح آخر لنفس الطلبة:

+ إخوتي المحبوبين، هذه الكلمات تعني أيضاً شيئاً آخر: أنتم تعلمون أن الرب دائماً يحضنا أن نحب أعداءنا، وأن نصلي من أجل مضطهدينا. فنحن يليق بنا أن نصلي من أجل أن هؤلاء، الذين ما زالوا بعد أرضيين وليسوا سمائيين، أن يخضعوا هم أيضاً لمشيئة الله هذه، كما خضع لها المسيح خضوعاً كاملاً من أجل خلاص البشرية.

المسيح لم يعد بعد يدعو تلاميذه أرضاً؛ بل ملح الأرض، والرسول يقول إنه بينما الإنسان الأول أُخذ من تراب الأرض، فإن الثاني أتى من السماء؛ فعلينا أن نتشبه بأبينا السماوي الذي يشرق شمسه على الصالحين والأشرار، والذي يمنح المطر للأبرار وللبغاة؛ لهذا يعلّمنا المسيح أن نصلي من أجل خلاص جميع البشر.

عندما تتم فينا مشيئة الله، بالإيمان، نصير نحن سمائيين؛ ثم عندما نطلب أن تتم مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء: أعني تكمل كذلك عند غير المؤمنين – الذين هم بحسب مولدهم الأول ما زالوا بعد أرضيين – حتى

يصبحوا سمائيين بمولدهم (من جديد) من الماء والروح.

**القديس الشهيد كبريانوس**

أسقف قرطاجنة

(٢٠٠-٢٥٨م)

* * *

## الاقتداء بحياة الملائكة

+ إنه يوجد نسق عجيب في هذه الكلمات. إنه نِعمَ ما يوصينا أن نرنو بأشواقنا إلى الخيرات العتيدة، وأن يكون لنا حنين دائم للسماء؛ إلا أنه يريدنا أيضاً ونحن في انتظار هذا المصير الآتي ونحن بعد على هذه الأرض، أن نقتدي بحياة الملائكة في السماء. وكأنه يقول لنا: "يليق بكم أن تتوقوا للسماء، وللنِعم التي أُعدُّها لكم هناك؛ ولكني مع هذا أوصيكم أن تجعلوا من أرضكم سماءً وأن تحيوا فيها بالقول وبالفعل كما لو كنتم الآن في السماء. إنها نعمة هذه التي تطلبونها مني: إنكم وأنتم على الأرض، ومع هذا تحاولون أن تسعوا لتحيوا مثل الطغمات السمائية؛ حيث أنكم تقدرون وأنتم بعد في هذه الدنيا أن تحيوا مثلهم". هذا هو إذاً ما تشير إليه كلمات الرب يسوع المسيح هذه. كما أن الملائكة في السماء يطيعون عن رضىً ودائماً بنفس الغيرة الحارة، كما أنهم لا يتقلبون فيطيعون مرة ولا يطيعون أخرى؛ بل كما أنهم دائماً يُذْعِنون

ويظلون خاضعين بالتمام، لأن النبي يقول إنهم قوات مستعدة لتنفيذ أوامر الله (مز ١٠٣: ٢٠). امنحنا (يا رب) نحن أيضاً هذه الهبة أن لا يكون عملنا لمشيئتك جزئياً؛ بل أن نكملها بالتمام في سائر الأمور.

تأملوا أيضاً في كيف أن الرب يعلّمنا أن نكون متضعين ويرينا كيف أن قوتنا لا تقوم على مجرد جهادنا، ولكن على نعمة الله. بل ويوصي أيضاً هنا كل مؤمن يصلي أن يفعل ذلك بوجه شامل من أجل المسكونة كلها. لأنه لم يقل: لتكن مشيئتك فيَّ أو فينا؛ بل على الأرض بصفة عامة؛ حتى ينمحي الضلال ويسود الحق فيها؛ حتى تنقرض الرذيلة وتزدهر الفضيلة؛ فلا تعود الأرض تفترق بعد عن السماء. لأنه إذا كان الله هكذا يُطاع في العالم فحتى ولو كان سكان السماء شديدي الاختلاف عن أهل الأرض، إلا أن الأرض ستصبح سماءً، والبشر سيصيرون ملائكة، لأنهم سيحيون كالملائكة.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

(٣٤٤-٤٠٧م)

من تفسيره للعظة على الجبل

* * *

+ توسل داود النبي إلى المسيح مخلّص العالم قائلاً: «قُدْني إلى حقّك وعلّمني أنك أنت الله مخلّصي» (مز ٢٥: ٥)، لأنهم يتعلمون من الله كل مَنْ هم في المسيح بالإيمان؛ ومن بين هؤلاء نحن، فمن المسيح - تمجّد اسمه -

نلتمس إيضاح أقواله: لأن مَنْ أراد أن يفهم جيداً دون ما زلل ما يتوق الـرب أن يعلِّمه لنا، هو في حاجة إلى النور الإلهي، فهو المانح لكل حكمـة، ويفيـض بنوره على ذِهن وقلب أولئك الذين يسألونه. وها مـرنم المزامـير يقـول أيضـاً: «افتح عينيَّ فأرى عجائب من شريعتك.» (مز ١١٩:١٨)

+ إذاً فلنتمعن أيضاً في هذا الجزء من الصلاة الربانيـة: لأنـه ليـس هيِّنـاً مـا سنربحه هنا لخلاص النفس. والآن نقول: لماذا أوصى الـرب صفوتـه المختـارين أن يخاطبوا الله الآب قائلين: «لتكن مشيئتك كمـا في السـماء، كذلـك علـى الأرض»؟

+ إن هذه الطلبة تليق بالأكثر بالقديسين، وما أمجدها أيضاً. إنه وُضع على القديسين أن يتوسلوا مـن أجـل أن تسـود إرادة الله الصالحـة علـى المسـكونة كلها، وماذا يهدف هذا التوسل إلا أن يعيش كل الجنس البشـري حيـاة تليـق بأبناء الله المختارين ويمارسـوا ويعرفـوا كـل فضيلـة؟ فهكـذا بكـل يقـين يحيـا الملائكة القديسون في الأمجاد السماوية لأنه مكتوب: «باركوا الرب يـا جميـع جنوده؛ يا خُدَّامه العاملين مَرْضَاتَـه» (مـز ١٠٣:٢١)، فَهُـم بإذعـانهم لإرادة سيدهم، وبتتميمهم البرَّ الذي يفوق طاقة البشر، يحفظون رتبتهم العالية؛ وأمـا الذين فعلوا بخلاف ذلك فقد هبطوا من ذلك المستوى.

+ ولكن لكي نسير قُدُماً إلى الأمام ونفهم فحوى الكلام، لنضرع إلى الله أن يمنحنا القوة نحن القاطنين على الأرض لنعمل مشيئته ونتمثل بحياة الملائكـة القديسين السامية، تلك التي يمارسـونها هنـاك في السـماء؛ ولنتـأمل بقـدر مـا

نُؤتَى من نعمة، في الطريق الـذي تسـلكه القـوات العلويـة وطغمـات الملائكـة الأطهار لكي يؤدوا ما أُنيط بهم على الوجه الأكمل. كيف يكرِّمون الله؟ هل بتقديم ذبائح دموية؟ هل بأطياب وبخور تماماً كما كـان يفعـل بنـو إسـرائيل قديماً؟ ولكن أظن أن هذا غير معقول فكـراً وقـولاً. بـل إنـه مـن الصـواب أن نؤكد أنهم يُتممون خدمة روحية غـير ماديـة علـى الإطـلاق، مقدِّمـين دائمـاً التمـاجيد والتسـابيح لخـالق الكـل، مكمِّلـين الـبر اللائـق بـالأرواح السـماوية الطاهرة.

+ إذاً، فـأولئك الذيـن في صلواتهـم يتوسـلون أن تتـم مشـيئة الله علـى الأرض، ينبغي بالضرورة أن يحيوا هم أنفسهم بلا لوم، وأن لا يبـالوا بـالأمور الأرضية؛ بل أن يتحرروا من كل ما هو نجس، ويقفـزوا خـارجين مـن حُفـر الإثم، «مكمِّلين القداسة في خـوف الله» (٢كـو٧: ١)، وكمـا يقـول بولـس الرسول أيضاً، إنه حتى وإن كانوا يسيرون على الأرض إنمـا ينبغـي أن تكـون «سيرتهم في السموات[١]» (في ٣: ٢٠) ...

+ فالقديسون يبتهلون (إلى الآب السـماوي) مـن أجـل جميـع النـاس، أيـاً كانوا، أن يوجـدوا مسـتحقين للسـلام الـذي مـن الأعـالي، وأن يجـدوا راحـة القلب بعد البؤس الذي كانوا يقاسـونه حينمـا كـانوا واقعـين في حبـال الإثـم

---

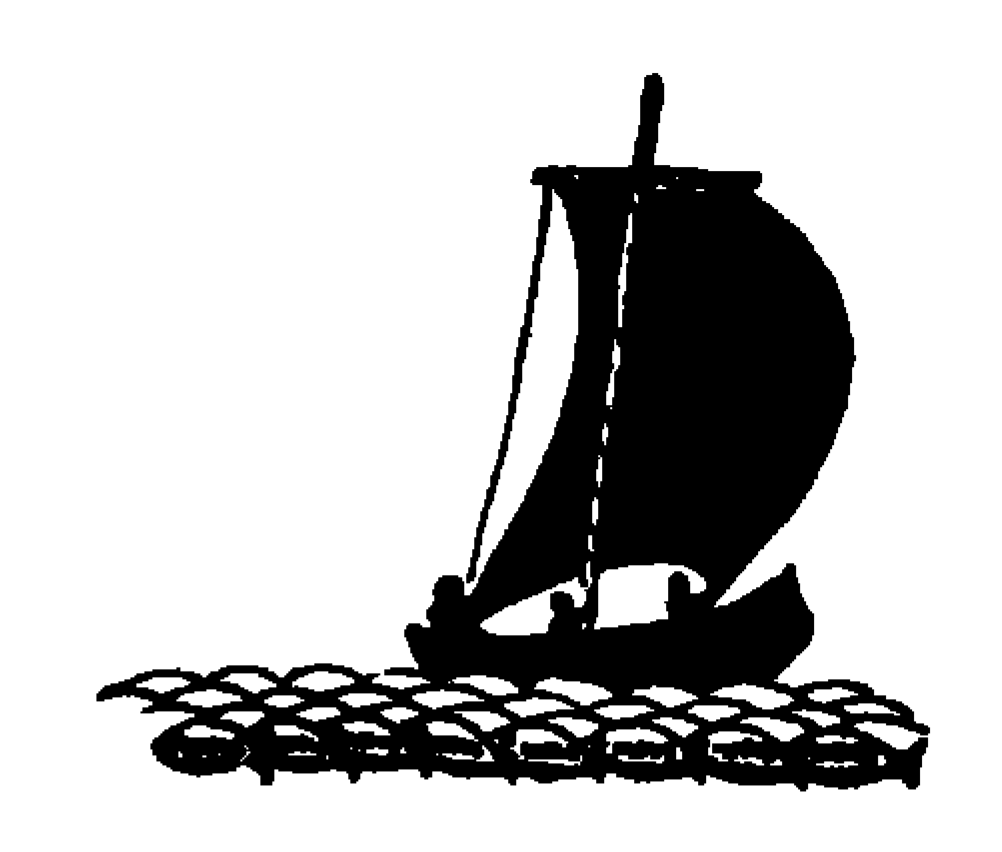
(١) أي وإن كانوا يعيشون على الأرض، إنما ينبغـي أن يحيـوا كمَنْ هـم مـن رعايـا السـماء

الذي لم يكن لهم إمكانية الفرار منه (لو لم تفتقدَهم رحمة الله): وإذ نالوا بر المسيح بالإيمان، يمكنهم أن يصيروا أطهاراً، ومؤهَّلين لكل عمل صالح. من أجل هذا يصلي (القديسون) قائلين: «لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض»، لأن إرادة إله الكل - كما سبق وقلت - أن يحيا سكان الأرض بقداسة وتقوى وبلا أدنى ملامة، أنقياءَ من كل عيب، مثابرين على التمثل بسجايا الأرواح العلوية في السماء؛ حتى إن الكنيسة على الأرض، كونها المثال المنظور والصورة لـ «كنيسة الأبكار» التي في الأعالي، تصير مرضية للمسيح؛ الذي به ومعه لله الآب، التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى أبد الأبد، آمين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)

* * *



# ٥. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

## المسيح هو خبزنا الحي

+ ثم نتابع الصلاة قائلين: « أعطنا خبزنا اليومي»:

هذه الطلبة يمكن أن تؤخذ بمعنيين: المعنى الأول: روحي، والمعنى الثاني: حرفي؛ وكلا التفسيرين، بحسب تدبير العناية الإلهية، يساهمان حتماً في خلاصنا.

فخبز الحياة بالنسبة لنا هو **المسيح**، وهذا الخبز لا يخص كل العالم، وإنما يخصنا نحن. وكما نقول: «أبانا» لأنه أب لكل مَنْ يؤمن، كذلك بالمثل نحن ندعو المسيح خبزنا، لأنه خبز لكل مَنْ يشتركون في جسده (الواحد). ولكي نحصل على هذا الخبز، نحن نصلي كل يوم (على الدوام)؛ فنحن الذين نحيا في المسيح، ودائماً نتناول سر الشكر كطعام لخلاصنا، لا نود أبداً أن نمتنع من الشركة المقدسة بسبب قهر زلة عرضية قد تحرمنا من خبز السماء، وتفصلنا من جسد المسيح، حسبما نادى هو نفسه وقال: أنا هو الخبز الحي النازل من السماء: إذا ما أكل أحد من هذا الخبز، فإنه يحيا إلى الأبد؛ والخبز الذي أنا

أُعطيه هو جسدي(١) من أجل حياة العالم (يو ٦: ٥١).

+ إنه يقول: مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، ليؤكد أن الذين يحيون هم الذين يمدون اليد(٢) إلى جسده، ويتناولون الإفخارستيا في الشركة المقدسة؛ وبناءً على ذلك ينبغي علينا أن نطلب بمخافة من أجل أولئك الذين يفصلون أنفسهم بإرادتهم عن جسد المسيح، حتى لا يحيدوا عن الخلاص. إن الرب سبق فأنذرنا: إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فلن تكون لكم حياة في أنفسكم (يو ٦: ٥٣). فنحن إذاً نطلب على الدوام أن نتناول خبزنا، الذي هو المسيح حتى نبقى أحياء في المسيح، ولا نبتعدنَّ قط عن نعمته أو عن جسده.

**لا نقلق على غذاء غدنا:**

+ ويمكننا أيضاً أن نفهم هذه الطلبة على الوجه التالي: نحن قد جحدنا العالم؛ وبنعمة الإيمان قد رفضنا تنعماته وغواياته، فنحن نطلب مجرد قُوتَنا (اليومي)، لأن الرب يقول: مَنْ لا يترك كل أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً (لو ١٤: ٣٣). فمَنْ يبدأ أن يكون تلميذاً للمسيح ويترك كل شيء، حسب كلمة الرب، فله أن يطلب غذاء يومه فقط فلا يقلق بسبب شدة

---

(١) عبارة «الذي أبذله» محذوفة من النسخ الأصلية ويكتفى بالفعل «أُعطي εγω δωσω» لتشمل الخبز والجسد معاً.

(٢) في أيام القديس كبريانوس كان المتناولون يمدون أيديهم - راحة اليد اليمنى على اليسرى - حيث يُوضع فيها جزءٌ من خبزة الإفخارستيا ليتناولها المؤمن بنفسه.

لعوز. والرب أيضاً قال: فلا تهتموا للغد. لأن الغد سيحمل همَّ نفسه، يكفي كل يوم شره (مت ٦: ٣٤).

+ إذاً فالتلميذ له الحق أن يطالب بغذاء يومه، دون أن ينشغل بالغد. بل إنه لا يتوافق أن الذين يطلبون ملكوت الله ليأتي سريعاً، أنهم هم أنفسهم يهتمون بأن يطول بقاؤهم في هذه الحياة الدنيا.

+ والرسول ينبهنا لهذا لكي يهذب، ويشدد، ويوطِّد إيماننا ورجاءنا بقوله: «لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.» (١تي ٦:٧-١٠)

**التحرر من عبودية المال:**

+ المسيح يعلِّمنا أن محبة المال ليست فقط دنيئة: بل إنها أيضاً خطيرة، إنها تحوي داخلها الجذر الذي تتفرع منه جميع الشرور المغرية الخدَّاعة التي تُضَلِّل النفس البشرية. إن الرب قد ردَّ على حماقة الغني الذي كان يمنِّي نفسه بتنعمه بغنى هذا الدهر بقوله: يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لِمَنْ تكون (لو١٢: ٢٠)؟

الغبي الذي كان يفتخر بوفرة محصوله، حينذاك وفي تلك الليلة نفسها باغته الموت. كان يُسرح الفكر في وفرة أرزاقه، وفي الحال غالبه فراق الحياة.

ومقابل هذا يؤكد الرب أن الكامل هو مَنْ يبيع كلَّ ما يملك ويفرّقه على المساكين، وبهذا يكنز لنفسه كنزاً في السماء.

+ بل ويزيد الرب على هذا أنه يمكننا أن نقتفي آثاره وننهج سبيل آلامه المجيدة، إذا ما أمكننا أن نتحرر ونفك أنفسنا من عقال كل الهموم المادية، وإذ نتخلى عن أموالنا نقدمها لله كدليل لتقديم حياتنا نفسها له قرباناً، ولكي يعدّنا الرب لهذا يأخذ في تعليمنا المبادئ التي تقوم عليها الصلاة.

+ الخبز اليومي لا يمكن أن يعوز الصدِّيق، فقد كُتب: الرب لا يترك الصدِّيق يتلوى جوعاً (أم ١٠:٣)، وأيضاً: كنتُ فتىً وقد شخت ولم أرَ صديقاً تُخُلِّيَ عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً (مز ٣٧:٢٥). ثم إن الرب وعد قائلاً: فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم (مت ٦:٣١-٣٣).

+ لأولئك الذين يطلبون ملكوت الله وبره قد وَعَدَ بأن يعطيهم كل شيء مُضافاً إلى ما يسألونه وأكثر مما يحتاجونه. فكل شيء في الحقيقة هو مِلكٌ لله؛ وكل مَنْ يقتني الله فلن يعوزه شيء ما دام هو لا يتخلى عن الله. وهكذا كان دانيال وهو في الحبس، حسب أمر الملك، في جب الأسود، كان يتقبَّل طعامه من الله وكان يقتات به وسط الوحوش المفترسة الجائعة التي أبقت عليه ولم تؤذِهِ. كذلك إيليا بالمثل كان يُعالُ خلال سياحته كما كان يُعال خلال عزلته عندما كان مُطارَداً، حيث كانت الغربان والطيور تأتي له بما يقتات به.

ويا للأسف ويا لشناعة قسوة شر الإنسان: الوحوش المفترسة تراعى حُرمة الإنسان والطيور تأتيه بالغذاء، أما البشر فينصبون المكايد ويتخلقون بالقسوة.

**القديس كبريانوس**

أسقف قرطاجنة

* * *

## نطلب الخبز الضروري لقوام حياتنا

+ إنه يريدنا (هنا) أن نطلب فقط الخبز الضروري لقوام حياتنا، لا ما يزيد عن حاجتنا. ما يكفي فقط لحفظ قوى الجسد القابل دائماً للفناء حتى لا يموت جوعاً. لا الموائد الشهوانية المشحونة بكل ما لذّ وطاب، ولا الولائم المعدَّة بمهارة وحذق المملوءة بأنواع الحلوى اللذيذة والخمور ذات الروائح العطرية، وسائر الإفراطات الأخرى التي تغري المذاق، ولكنها تُنْهِك المعدة، وتُثقّل الروح؛ بل وتجعل الجسد يثور على الروح كما يثور الحصان الجامح حتى على صاحبه.

+ وهذا ليس ما تُعلمنا إياه كلمة الله أن نطلبه؛ بل الخبز الضروري لقوام حياتنا، أي فقط ما يقيت الجسد ويقويه، وهذا الخبز لا يأمرنا الرب أن نطلبه لسنين عديدة، ولكن فقط من أجل اليوم الحاضر. إنه يقول لنا لا تقلقوا من أجل الغد، أنتم الذين لا تعرفون ماذا يلده اليوم التالي... ضعوا ثقتكم في الله

الذي يُعطي لكل ذي جسد غذاءه! (مز ١٣٦:٢٥). الذي أولاكم جسداً، وبنفخة من فيهِ أبدع لكم نفساً، ووهبكم عقلاً، وحتى قبل خلقتكم سبق فأعدَّ لكم خيرات جزيلة؛ أيعود فيتخلى عنكم بعد أن أتى بكم إلى الوجود، وهو الذي يشرق شمسه على الصالحين والطالحين ويمطر على الأبرار والظالمين؟ (مت ٦:٤٥). إذاً، اتكل عليه ولا تطلب منه سوى خبز يومك، تاركاً له الاهتمام بالغد، كما يقول داود المغبوط: ألق على الرب همك وهو يعولك (مز ٥٥:٢٢).

+ ومع أن الرب يتكلم إلى بشرٍ لابسين جسداً قابلاً للزوال خاضعاً لضرورات الحياة المتباينة وغير مؤهَّل لأن يكون غير قابل للألم مثل الملائكة، أى إنه أيضاً يوصينا أن نتمم مشيئة الله تماماً كما يفعل الملائكة، ولكنه يتنازل في نفس الوقت إلى ضعف طبيعتنا ويقول لنا: إني أتطلب منكم طهارة ملائكتي، ولكن ليس عدم تألمهم، لأن طبيعتكم الواهية لا تقدر على ذلك، فهي في حاجة ضرورية إلى غذاء مادي يسندها.

+ ولكن لاحظوا مقدار ما يطالبنا به من الروحانية حتى فيما يختص بالجسد. لأنه لا يوصينا أن نطلب مزيداً من الغِنَى والملذات أو الملابس الفاخرة أو ما شابه ذلك؛ بل بمجرد الخبز، خبز يومنا الحاضر الذي نعيشه، دون أن نعول همَّ الغد. فهو يقول: أعطنا خبز كفاف يومنا. ولم يكتفِ بهذا بل أضاف: «اليومَ» حتى يبعد من أرواحنا تماماً الاهتمام والارتباك باليوم التالي. لأنه لماذا تثقّلون أنفسكم بهمِّ يومٍ لستم على يقين من أنكم سترونه.

فهو يقول: لا تهتموا بالغد. فهو يريدنا أن نكون دائماً شادِّين أحقاءنا للرحيل، وعلى أُهبة الاستعداد للطيران نحو السماء غير معطين الجسد إلاَّ حاجته الضرورية.

## القديس يوحنا ذهبي الفم

من عظاته عن: "الباب الضيق"، والعظة على الجبل

* * *

+ لا تستحِ أن تستعطي من الله، فالمستعطي يقف على باب الغني (بالمال)؛ وهذا الغني نفسه يقف على باب الغني الأعظم (الله). هذا الغني (الله) يُطْلَب منه هو بدوره فيعطي. وهو لو لم يكن في حاجة ما، لما ألحَّ في الطلبة. ولكن أي شيء يحتاجه الغني (بالمال)؟ إني لا أخشى أن أقول له: حتى الغني (بالمال) هو أيضاً في حاجة إلى الخبز اليومي! فكثيراً ما يحدث أن أُناساً ينامون وهم أغنياء ويستيقظون فإذا بهم فقراء معدمون؛ وإن كان هناك أغنياءُ مُكتَفون فهذا لا يرجع إلى اقتدارهم بل إلى رحمة الله بهم.

ولكن هذا الخبز، يا أحبائي، الذي يغذي بطوننا ويجدد قُوى أجسادنا كل يوم، يمنحه الله ليس فقط لِمَنْ يتغنون بحمده؛ بل ولِمَنْ يجدِّفون عليه أيضاً. فهو يشرق شمسه على الصالحين والأشرار ويمطر على الصدِّيقين والطالحين. فإن كنت تمجِّده، فهو يقيتك؛ وإن كنت تنكره، فهو سيُقيتك أيضاً...

+ ولكن إذا كان الصالحون والأشرار يتقبَّلون من الله نفس الخبز، أفلا يوجد خبز آخر يُحفظ للبنين حسب كلمة ربنا في الإنجيل: «لا ينبغي أن يؤخذ خبز البنين ويُعطى للكلاب.» (مت ١٥:٢٦)

**فما هو إذاً هذا الخبز؟** ولماذا نسميه «خبزنا اليومي»؟ الذي هو ضروري، وبدونه لا يمكننا أن نحيا. إننا لا يمكننا أن نعيش بدون قوت. ومن الوقاحة بمكان أن نطلب من الله الثراء، ولكن ليس كذلك أن نطلب منه قوتنا اليومي؛ ينبغي ألا نخلط بين ما يغذي كبرياءنا وبين ما يقيت حياتنا. فبينما الخبز المادي يُمنح للصالحين كما للطالحين، هناك أيضاً خبز يُحفظ للبنين وحدهم، ذلك هو «كلمة الله» التي توزَّع علينا كل يوم. هذا هو خبزنا اليومي الذي به تحيا الأجساد وأيضاً النفوس. فإنه من الضروري أن نكون دائماً عمَّالين في الكرم، فإن رب الكرم ملتزم بأمرين تجاه العامل الذي استأجره لكرمه: الطعام الذي يجدد القوة، والمكافأة التي تشيع البهجة. أما طعامنا نحن هنا في هذا العالم فهو «كلمة الله» التي ما برحت توزَّع في سائر الكنائس؛ أما مكافأتنا بعد الانتهاء من العمل (أي بعد الموت) فهي الحياة الأبدية.

+ وفي الختام إذا كنتم تعلمون أنه يُقصد بالخبز اليومي أيضاً ذلك الذي يتناوله المؤمنون، وأنتم بدوركم مزمعون أيضاً أن تنالوه بعد العماد؛ إذاً، فبحق، نحن نتوسل إلى الله قائلين: «خبزنا اليومي (كفافنا) أعطنا اليوم» سائلينه في نفس الوقت طهارة الحياة ا لتي تؤهلنا للاقتراب إلى شركة المذبح.

+ «**أعطنا اليوم**» أو «كل يوم»: يعني باليوم هنا، في هذا الدهر الحاضر، طيلة الزمان الحاضر. ولكن بعد هذه الحياة الحاضرة، هل سنطلب «خبزنا اليومي»؟ لن يُقال حينذاك: «كل يوم»؛ بل سيُقال فقط: «اليوم». الآن يُقال «كل يوم» لأن الأيام تمر وتتعاقب؛ ولكن عندما لا يكون هناك إلا يوم واحد، هو اليوم الأبدي، فهل يمكن أن يُقال «كل يوم»؟

ينبغي أن نفهم «الخبز اليومي» أو «خبزنا كفافنا» بمعنيين:

١ - ما هو لازم للحياة الجسدية؛ ٢ - وما هو لازم للحياة الروحية.

فما هو لازم لنا في حياتنا الزمنية هو أولاً القوت الجسدي ثم أيضاً ما يتدثر به البدن من كساء. هنا يؤخذ الجزء فيُطبَّق على الكل؛ أي أنه ونحن نطلب الخبز فنحن نعني أيضاً بقية الأمور الأخرى التي تختص بحياة الإنسان على الأرض.

أما المؤمنون فيعرفون قوتاً روحياً ستتعرَّفون عليه عندما تتأهبون لتناوله من على مذبح الله(٣). هذا الطعام سيكون أيضاً خبزكم «اليومي»(٤)، لأنه لا

---

(٣) القديس أغسطينوس يوجِّه هنا كلامه للموعوظين الذين لم ينضموا بعد لجماعة المؤمنين، وبالتالي لم يتعرَّفوا بعد على سر الإفخارستيا.

(٤) كان المؤمنون في شمال أفريقيا في زمن القديس أغسطينوس يتناولون من الإفخارستيا يومياً.

غِنَى عنه في هذه الحياة. ولكن هل سنتناول من الإفخارستيا حينذاك، عندما نتحد بالمسيح، وعندما نبتدئ أن نملك معه؟ إنه خبزنا اليومي ونحن لا نكتفي أن نغذي به أجسادنا ولكننا نغذي به أرواحنا أيضاً.

+ **الصفة الخاصة لهذا القوت السمائي**؛ هو إمدادنا بقوة الاتحاد؛ إنه يوحِّدنا بجسد المخلِّص ويجعل منا أعضاءً له، حتى نتحول نحن إلى ما نتناوله. وحينذاك يصير هو خبزنا اليومي بحق.

+ **«خبزنا اليومي»**: هذا القوت اليومي هو أيضاً الذي ما برحتم تسمعونه كل يوم في الكنيسة، إنْ في القراءات التي تُتلى، أو في التسابيح التي يُترنم بها وتشتركون أنتم أيضاً فيها. كل هذا زادٌ لا غِنَى لنا عنه في سفرنا (إلى وطننا السماوي). ولكن بعد أن تنتهي حياتنا على الأرض، هل سنقرأ هناك أيضاً كتباً؟ أليس أننا سنرى الكلمة (الإلهي) ذاته؟ ألسنا سنسمعه؟ ألسنا سنأكله؟ ألسنا سنشربه كما يفعل الملائكة الآن؟ وهل الملائكة هم في حاجة إلى كتب، أو مفسرين؟ كلا: لأن قراءاتهم تقوم في تأمل ورؤية الحق ذاته. إنهم يستقون من ذلك الينبوع العميق الذي نتذوق نحن منه هنا بعض القطرات فحسب.

**القديس أغسطينوس**

مختارات من شرحه لـ «أبانا الذي» للموعوظين بعد تعميدهم،

وقبل إقبالهم على التناول من الإفخارستيا المقدسة

* * *

+ أولئك الذين يقتنـون الـثروات الأرضية يدعـون إلى بيوتهـم أصحـابهم الذين يودون أن يكرموهم، ويضعون أمامهم المآدب الفاخرة، قاصدين بذلـك أن يعطوهم الفرصة ليمتّعوا ذواتهم، مع أنهم لم يُعِدُّوا لهم شيئاً أكثر مما يُشبـع شهيتهم للطعام المادي. أما مخلّصنا ورب الكل فلا يُولِم لنا مأدبة نستمتع بهـا جسدياً، فهذا لا يعود لنا بنفع؛ بل قد يكون ضاراً حتى بالجسد نفسـه، وإنمـا هو يُعدُّ ولائم روحية لِمَنْ يحبونه من كل قلوبهم ويريـدون أن يحيـوا بـالتقوى، مانحاً إياهم المعرفة الخلاصية التي للإنجيل والتي بها يصير الإنسان ممتلئاً من كـل صلاح ووارثاً للحياة الأبدية. وما قلته هذا يُعَلِّمه لنا بوضوح هذا الفصل (مـن الإنجيل) الذي أمامنا الآن؛ فـالرب يقـول: «فمتـى صليتـم، ينبغـي عليكـم أن تقولوا: أعطنا كل يوم خبزنا الضروري» (نص تفسيري).

+ ولكن ربما يعترض البعض قائلاً: إنه ليـس مـن المناسـب ولا مـن اللائـق بالقديسين أن يطلبوا من الله هذه الأمور الجسدانية، ولذا قد يأخذون مـا قيـل بالمعنى الروحي، ويؤكّدون أنهم لا يسألون الخبز الأرضي أو ما هـو للجسـد؛ بل «ذاك الذي نزل من فوق، من السماء وأعطى الحياة للعالم». وأنا أيضاً بلا أدنى شك أقول: إنه من الأليق جداً بالقديسين أن يسعوا بكـل جـدٍّ ليُحسَبوا مستحقين للعطايا الروحية، ولكن من جهة أخرى ينبغي لنا أن نفهم أنه حتـى إذا ما كانوا يطلبون مجرد الخبز العادي إلا أنه لا لوم عليهـم البتـة في ذلـك إذا ما كانوا يسألونه من الله حسبما يدعوهم المخلّص أن يفعلوا هكذا، لأن هـذا

يليق بحياتهم التَقَوية. ولكن علينا أن نمعن النظر في المعنى المتواري في هذا الكلام، وما يحويه من تعاليم نافعة لحياتنا الروحية.

+ فالرب إذ أوصاهم أن يسألوا من أجل الخبز، أي من أجل الغذاء اليومي، فهذا برهان واضح على أنه لا يسمح لهم بامتلاك أي شيء (حتى الطعام الضروري لليوم التالي)؛ بل يلزمهم أن يمارسوا التجرد التام كقديسين (مفروزين بالكامل للكرازة والمناداة بالإنجيل). فالسؤال هنا ليس من حق مَنْ يمتلكون نفس الشيء؛ بل هو لِمَنْ هم في حاجة ماسة لِمَا يلزم الجسد ولِمَا لا غِنَى لهم عنه. فإذا فُرِضَ أن واحداً ليس في عوز إلى شيء وطلب من الله العليم بكل شيء قائلاً: «أعطنا خبز اليوم»، فإنه يبدو بطبيعة الحال كمَنْ يستهزئ أو ربما كمَنْ يجعل الوصية مدعاة للسخرية، ويتصور كما يفعل البعض أن «الرب لا يُبصر وإله يعقوب لا يُلاحظ.» (مز ٩٤:٧)

+ ولكن بهذه الوصية نفسها - طالما هم يسألون ما ليس عندهم - نفهم أن الرب لا يروم لتلاميذه أن يبتغوا الغِنَى الأرضي، وهو ينهاهم في مناسبة أخرى قائلاً لهم بوضوح: «لا تكونوا قلقي البال من أجل حياتكم، ماذا تأكلون، أو ماذا تشربون؛ ولا لأجسادكم ماذا تلبسون، لأن هذه الأمور كلها تطلبها الأمم (التي لا تعرف الله)، لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه كلها تُزاد لكم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها.» (مت ٦:٢٥-٣٣)

وكلمة «إبيوسيوس επιουσιος» الملحقة هنا بـ «خبزنا»، يشرحها البعض بمعنى «الآتي»، أي الخبز (أو الطعام) المزمع أن نُعْطاه في العالم الآتي بالمفهوم الروحي أيضاً. في حين أن آخرين يعطون للكلمة معنىً مغايراً؛ ولكن إذا كان حقاً أن الخبز الذي يُشار إليه في هذه الطلبة هو الذي سيُعطَى في العالم الآتي فلماذا نضيف: «أعطه لنا كل يوم» أو «يوماً فيوماً»، لأن هذا يعني أننا نلتمس زادنا اليومي، ونحن نسأل هكذا لا كأناس محبين لوفرة الطعام والشراب؛ بل كأحرار من كل هَمٍّ أرضي. فمعنى «إبيوسيوس»، إذاً، «ما هو ضروري وكافٍ»، والرسول المغبوط بولس قد استخدم هذا التعبير مع تحوير طفيف عندما تكلم عن المسيح مخلِّص العالم قائلاً عنه: «إنه أعدَّ لنفسه شعباً خاصاً περιουσιος» (تي ٢: ١٤)، مستعمِلاً «بيريوسيوس» بدلاً من «إبيوسيوس»، قاصداً بذلك «صفوة مختارة لا يعوزها الكمال»، أي «شعب كفءٌ». فَهُم (التلاميذ) عندما يطلبون قوت يومهم فحسب (كفافهم)، فإنهم يبرهنون بهذا على أنهم متحررون من كل رغبة للقِنْيَة؛ بل ويحسبون فخراً لهم أن يكونوا متجردين بالتمام من كل الأمور الأرضية (حتى يكون الله الكل في الكل لحياتهم).

+ لأنه يليق بمَنْ تعيَّنوا للخدمة الرسولية أن يكونوا خالين من كل همٍّ وانشغال دنيوي، غير منقادين وراء تلك الأمور التي تُغرق الناس في الهموم وتلقي بهم كما في حمأة من وحل وقاذورات الشهوات العالمية. «لأن محبة المال أصل لكل الشرور» (١تي ٦: ١٠). ومن الصواب أن أقول لمَنْ يتغوز

أن يُقلِعوا عن مثل هذه العيوب أنهم ينبغي أن يستردوا للعالم ما يخصه، وأن يجحدوا كل الأمور الجسدية (الباطلة)، وأن يطلبوا من الله فقط ما هو ضروري لقوام الحياة، متحدِّين عجز الجسد الذي يتظاهر دائماً بالضعف ولا يكف عن طلب الطعام، ومستعدين ألاَّ يُلبُّوا كل رغباته بقدر إمكانهم؛ وبهذا تطول الحياة، وتفرح الروح جداً بقبول هذا التجرد (أكثر مما بسعة العيش وبحبوحة الحياة).

+ لأنه كما أن أولئك الذين يعرفون كيف يجاهدون في المصارعات الجسدانية، ويبرعون في ألعاب المسابقات، يتجردون حتى من ثيابهم، ويقفون بشهامة صامدين أمام شدة بأس مناوئيهم؛ كذلك القديسون إذ يتخلصون من كل الهموم الدنياوية، والأهواء الجسدانية؛ بل ولا يبالون حتى أن يقتنوا وفرة من القوت (الضروري) متجرِّدين - كما قلت - لمقاومة إبليس وكل أعوانه أعداء الحق، يكرِّسون أنفسهم تماماً للجهاد الموضوع أمامهم في خدمة الرب، فينالون النصرة كأبطال فائزين (في السباق). وهذا ما يقوله أيضاً الرسول الإلهي بولس في إحدى رسائله (٢تي ٢: ٤) عن أولئك الذين يحاربون في الجسد: «ليس أحدٌ وهو يحارب يرتبك بأعمال الحياة لكي يُرضي مَنْ جنَّده». لأنه ليس من محارب يذهب إلى المعركة وهو محمَّلٌ بأشياء زائدة عن الحاجة؛ بل فقط تلك المعدات الضرورية واللازمة لمَنْ أُنيط بهم مهمة القتال.

+ إذاً، يليق بالقديسين، كأناس وُضع عليهم أن يجاهدوا ليس فحسب مقابل «دمٍ ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة عالم ظلمة هذا الدهر،

مع أرواح الشر المنبثّة في الهواء» (أف ٦: ١٢ - حسب النص المترجم)، يليق بهم أن يمنطقوا حسناً حَقْوَي ذهنهم (أي يكونوا صاحين روحياً)، حتى لا تفاجئهم الضربة القاتلة التي لأولئك الخصوم الذين يقاومونهم ويحاربون ضد رسالتهم وكرازتهم. ومن اللائق بهم أيضاً أن يكونوا ذوي غرض واحد مستقيم في حياتهم، بمعنى أن يفكِّروا ويسعوا فقط فيما يرضي الرب، وأن لا يسمحوا بأن يتسرب إليهم شيء من همِّ العالم؛ بل إذ يكونون كلهم مقدَّسين بالتمام وبلا عيب يجعلون حياتهم ذبيحة مقبولة لدى الله. لأنه مكتوب أن «كل تقدمة كاهن تُحرَق بكمالها» (لا ٦: ٢٣)، لأن حياة أهل العالم "منقسمة" بسبب اهتماماتهم الكثيرة بحسب تعبير القديس بولس (١كو ٧: ٣٣)؛ أما حياة القديسين فليست كذلك، إذ أنهم كرَّسوا حياتهم بالكامل وتقدَّسوا تماماً للرب (روحاً ونفساً وجسداً)، مقدِّمين ذواتهم محرقاتٍ طيِّبة الرائحة لدى الله، وهذا هو ما نعنيه بـ «محرقة كاملة» أو «تُحرَق بكمالها».

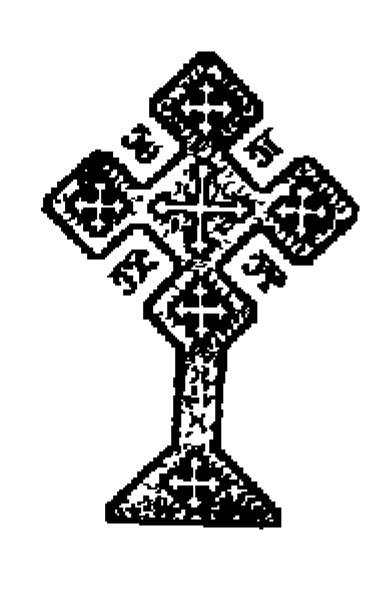
+ ولكن إذا وُجد شيء ما غير مقدس في أيٍّ منهم (أي من القديسين) فإنه يلوِّث الذبيحة، ويُفسِد رائحتها الزكية إذ يختلط النجس بالطاهر. فمحبة المال (على سبيل المثال) إذا تسرَّبت إلى حياة القديسين، فهي تكون كشيء رديء الطعم (أو الرائحة)؛ كذلك القلق من أجل أمور الجسد، لأن الله في كل مكان (وزمان) قد وعد القديسين أنهم لن يكونوا في عَوَز إلى شيء. فإذا كنّا لا نصدق أنه كفيلٌ بأن يمنحنا هذه، فقد صرنا شركاء اليهود في عدم إيمانهم. لأنه عندما أخرج الله الكلي القدرة لهم من الصخرة ماء بطريقة

إعجازية فائقة، تذمَّروا عليه قائلين: «هل يقدر الرب أن يرتب مائدة في البرية» (مز ٧٨: ١٩)؟ ولماذا لا يقدر؟ ولماذا لا يُعطي ما قد وعد به؟ لأنه إذا كان الناس ذوو السجايا الحميدة يكونون دائماً أوفياء بما تنطق به أفواههم، فكيف يكون الله الذي هو أسمى من الجميع غير صادق فيما وعد به؟ بل إن البشر (مهما سمَت أخلاقهم) قد يُقصِّرون في غالب الأحيان في إيفاء ما تعهدوا به من إسداء شيء من الخير بسبب عجزهم (الطبيعي). أما مَنْ لايشوبه ضعفٌ؛ بل هو رب القوات، الذي يفعل ما يريد، وهو يريد بلا أدنى مشقة وبكل سهولة، كيف لا يتمم كل ما يَعِدُ هو به للبشر؟

+ إذاً، «مُلْقين كل همِّنا عليه» (١بط ٥:٧)، فلْنسأله (تمجَّد اسمه) من جهة احتياجاتنا الجسدية ما يقوم فقط بأَوَد الحياة من قوت وكسوة، متجنبين كل رغبة في حب الثراء، لأن ذلك يهدِّد حياتنا (الروحية) بالدمار. فإذا ثبتنا على هذه النية، رضي المسيح عنّا وباركنا؛ به ومعه لله الآب، التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى أبد الأبد، آمين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)



# ٦. اغفرْ لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا

**مسامحتنا لإخوتنا، وسعيُنا للسلام**

**شرط لرضى الله عن صلواتنا وقرابيننا:**

بعد طلب قوتنا اليومي، نحن نطلب الصفح عن الخطيئة. لأن مَنْ يقتات من يد الله ينبغي أن تكون حياته ممتدة في الله، فلا يكون رجاؤه بالحياة الحاضرة الزمنية؛ بل أيضاً بالأخرى الأبدية، تلك التي يمكنه أن يُقبِل إليها إذا غُفرت له خطاياه، هذه التي يسميها الرب ديوناً، حسب قول الإنجيل: «كل ذلك الدَيْن تركته لك لأنك طلبتَ مني...» (مت١٨: ٣٢)

إنه من الضرورة والحكمة بمكان؛ بل ونافع لنفوسنا أن يذكّرنا الرب بأننا خطاة، وذلك في دعوته لنا أن نطلب من أجل مغفرة خطايانا. وهكذا يكون التماسنا صفح الله مذكّراً لنا بالحالة التي عليها ضمائرنا؛ وحتى لا يجاري أحدٌ أفكاره ويظن في نفسه أنه بار، ويضل بهذا الافتخار المعيب، تذكّرنا هذه الطلبة دائماً أننا معرَّضون للخطيئة كل يوم، وذلك عندما نُطالَب بأن نلتمس كل يوم الصفح عن خطايانا.

والرسول يوحنا هو أيضاً ينبِّهنا في رسالته: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا، ولكن إن اعترفنا بخطايانا (اعترفنا بحقيقة إننا خطاة) فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١:٨). إنه يجمع في رسالته بين أمرين (شرط وجواب شرط): إنه في صلواتنا ينبغي علينا أن نطلب الصفح عن خطايانا؛ أما من جهة الرب، فيؤكد الرسول إنه أمين في وعده بأن يصفح عنها. لأن الذي علّمنا أن نطلب المغفرة عمّا علينا من ذنوب وخطايا، وعدنا في نفس الوقت أنه بعطفه الأبوي سيصفح لنا عنها.

## على أي أساس يتم لنا الصفح عن خطايانا؟

الرب يحدد بدقة شروط صَفْحه: إنه يُلزمنا أن نترك نحن أيضاً الديون للمديونين لنا، ما دمنا نطلب نحن بالمثل أن تُتْرَكَ لنا ديوننا. إننا لا نستطيع أن نطلب غفران ذنوبنا إلا إذا صنعنا نحن بالمثل من نحو من أذنب إلينا. إنه يقول في موضع آخر: «بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم.» (مت ٧:٢)

العبد الذي سامحه سيده بكل ديونه، عندما رفض أن يفعل المثل هو أيضاً من نحو أحد رفقائه طُرِح في السجن. إنه لم يشأ أن يعفو عن رفيقه ولذا فَقَدَ العفو الذي سبق وحصل عليه من سيده. والرب في حكمه هذا أراد أن يشدد على هذه الحقيقة بقوة: «متى وقفتم تُصلُّون فاغفروا إن كان لكم على أحدٍ شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم.» (مر ١١:٢٥و٢٦)

**ا لله لا يقبل إلا صلاة المحبين للسلام:**

إذاً لن يكون لك عذر يوم الدينونة، عندما تحاكَم طبقاً لسلوكك تجاه الآخرين: إنك ستكون تحت الحكم الذي أوقعته أنت نفسك على الآخرين. الرب أوصانا أن نحافظ على السلام والوفاق في بيته، وأن نحيا وفقاً لسُنن الحياة الجديدة، وإذ صرنا أبناءً لله يليق بنا أن نصون سلام الله؛ لأن وحدانية الروح تحتم وحدانية النفوس والقلوب. **ا لله لا يقبل قربان مَنْ يحرضون على الانشقاق، إنه يردهم من على المذبح ليتصالحوا أولاً مع إخوتهم. الله لا يرضى إلا بالصلوات المرفوعة في سلام. إن أبهج تقدمة يمكننا أن نهديها لله هي سلام ووفاق ووحدة كل المؤمنين في الآب والابن والروح القدس.**

باكورة القرابين التي قدمها هابيل وقايين لم ينظر الله فيها إلى التقدمات في حد ذاتها ولكن إلى القلوب: فالعطية كانت مستحسنة حيث كان القلب كذلك. إن إنسان السلام هابيل البار، الذي قدَّم ذبيحته بنفس نقية يعلِّمنا أن نتمثل به عندما نقدِّم قرباننا، فينبغي أن يكون ذلك بمخافة الرب، بقلب بسيط، ونية صادقة بالوفاق والسلام مع الجميع. فهابيل بتقديم قربانه لله متحلياً بهذه السجايا استحق هو نفسه أن يصير قربان استشهاد. لقد مهَّد بشرف دمه لآلام الرب، لأنه كان يمتلك في ذاته بر وسلام الرب. ومَنْ تخلَّق بمثل هذه السجايا تُوِّج ومَلَكَ مع المسيح...

أما المنشقون الذين لا يريدون أن يحيوا في سلام مع إخوتهم، فعلى النقيض، فهم مدانون بحسب شهادة الرسول والإنجيل، حتى ولو قدَّموا

أنفسهم للذبح، فلن يكونوا أقل إجراماً بسبب الشقاق الذي زرعوه بين الإخوة، لأنه مكتوب: «مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفس»، وكل قاتل نفس لن يمكنه أن يدخل ملكوت السموات ولا أن يحيا مع الله (١يو ٣:١٥).

مَنْ يفضِّل أن يتمثل بيهوذا وليس بالمسيح، فلن يمكنه أن يحيا في المسيح. فيا لجسامة هذا الجرم، **وحتى معمودية الدم نفسها لا يمكن أن تمحو هذا الجرم!** فيا لشدة ثقل هذا الوزر الذي لا يقدر حتى الاستشهاد أن يكفِّر عنه.

**القديس كبريانوس**

* * *

## الله وضع خلاصنا في أيدينا، إن صَفَحْنا!

+ هذه الطلبة تشتمل على ثلاث حقائق نافعة لخلاصنا:

+ أولئك الذين وصلوا إلى درجة روحية عالية في الفضيلة، يعلِّمهم الرب يسوع المسيح:

١ - إنهم لا ينبغي أن يكفُّوا أبداً عن الاتضاع.

٢ - وأن لا يثقوا في أنفسهم أنهم عملوا شيئاً من الصلاح؛ بل فليخشوا ويرتعبوا مذكِّرين أنفسهم بآثامهم الماضية كما كان يفعل الرسول العظيم بولس، الذي بعد أعمالٍ صالحة كثيرة، كان يقول: «إن يسوع المسيح جاء إلى العالم ليخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا» (١تي ١:١٥). إنه لم يقل: «الذين

كنت أولهم»؛ بل: «الذين أنا أولهم» (في الحاضر) مُشيراً بهذا إلى أنه كان يذكر الماضي كما لو كان حاضراً. فلأولئك الذين وصلوا إلى الكمال أبان الرب بأنهم ينبغي أن يتخذوا الاتضاع وقاءً لهم. وأولئك الذين سقطوا بعد نعمة المعمودية المقدسة، فلكي يجعلهم بمأمنٍ من الوقوع في اليأس من خلاصهم، يعلّمهم أن يطلبوا من طبيب النفوس الصفح الشافي لهم.

٣ - وعدا ذلك يعلّمنا الرب جميعاً درساً في المحبة. إنه يريدنا أن نكون متسامحين مع المذنبين، دون أن نحقد على مَنْ أساءوا إلينا؛ وإذا صفحنا، سيُصفح عنا، والحقيقة أننا نحن الذين نعبئ الكيل الذي سيُعطى لنا يوم الدينونة. لأننا نطلب الحصول على الشيء بقدر ما سنعطيه. فنحن نطلب رحمة بقدر ما لنا منها فينا: «بالكيل الذي به تكيلون، يُكال لكم».

+ تأملوا إلى أي حد يصل فيض محبة الله للبشر. إنه يرى أنهم مستحقون للعفو حتى أولئك الذين يسيئون إليه بعد أن كانوا قد خلصوا من شرور كثيرة؛ بل وبعد أن نالوا نِعَماً وفيرة تفوق الوصف، لأنه لأجل المؤمنين قد خُصصت هذه الصلاة كما تدلنا على ذلك العادة الكنسية المتبعة؛ بل وأولا كلمة في هذه الصلاة الربانية، لأن شخصاً غير معمَّد لا يمكنه أن يدعو الله «أبانا». فإذا كانت هذه الصلاة إذاً للمؤمنين، وإذا كان يمكنهم أن يطلبو الصفح عن ذنوبهم، فمن البيِّن أن الله لا يرفض، حتى بعد العماد، علاج جروحنا وتوبتنا. لأنه لو لم يرغب في أن يقنعنا بهذه الحقيقة، لما فرض علينـ هذه الصلاة، ولكنه في ذكره للذنوب وفي وصيته لنا أن نطلب الصفح عنها

وفي تسليمه لنا هذه الطريقة السهلة للحصول على الغفران الذي يقوم على أن نَصْفَح لكي يُصْفَح عنا؛ من الواضح أنه يريد أن يبيِّن لنا أن الذنوب يمكن أيضاً أن تمحى بعد العماد، ولكي يرسِّخ هذا في أذهاننا أمرنا أن نصلي على هذا المنوال. وهكذا في جعله إيانا أن نتذكر خطايانا، فإن هذا من شأنه أن يبث فينا أحاسيس الاتضاع.

+ والرب في وصيته لنا أن نصفح عن الآخرين يريد أن يمحو من ذهننا تذكُّر الإساءات. وفي وعده لنا أن يغفر لنا زلاتنا، هذا يبعث فينا الرجاء ويجعلنا نتمثل بوداعته ولطفه الفائق، فيسمو بنا إلى قمة الحكمة.

وما هو جدير بالاعتبار أن كل طلبة على حدة من هذه الطلبات السابقة تحوي في صميمها كل الكمال المسيحي، وبالتالي فهي تشمل ضمناً الصفح عن الإساءات؛ وكأن في كل عبارة من هذه العبارات مجملٌ لكل مقومات الحياة المسيحية، إن كان في كلمة: «ليتقدس اسمك»، أو في القول: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»، أو في هذه النعمة الممنوحة لنا أن ندعو الله «أبانا». ويمكننا أن نقول إن كل هذه المزايا تشمل بالضرورة نسيان الإساءات التي تلحقنا من جهة إخوتنا. إلا أن الرب لم يكتفِ بهذه الوصية الموجودة ضمناً في الطلبات السابقة؛ ولكي يبيِّن أنها محور اهتمامه، جعل لها قسماً واضحاً في الصلاة التي علَّمنا إياها، هذه التي بعد أن أكمل سردها لتلاميذه لم يكرر أي جزءٍ منها ثانية في حديثه سوى هذا المقطع،

وذلك في تعليقه على الصلاة: «إن لم نغفر للناس زلاتهم من نحونا، فلن يغفر لنا أيضاً أبونا السماوي زلاتنا».

وهكذا جعل الله مصيرنا يتوقف علينا، ونحن المسئولون عن قرار الحكم الذي سيُنطق علينا في اليوم الأخير. إنه لن يعطينا فرصة أن نلوم أو نحتج على أي حكم يصدره علينا؛ لذا أراد - ونحن المذنبين - أن نكون قضاة أنفسنا. وكأنه يقول لنا: بنفس الحكم الذي ستقضون به على أنفسكم هكذا سأحكم عليكم، وإذا غفرتم لبشريٍّ مثلكم، أعدكم بأني سأغفر لكم. والعجيب أن الله يوازن هنا بين أمرين متباينين تماماً: فأنت تغفر لأنك في حاجة أن يُغْفَر لك؛ أما الله فيمنُّ بالصفح دونما حاجة إلى شيء. أنت تصفح، كخادم، عن آخر مثيلك؛ أما الله فيصفح، كسيد، عن عبد مملوك له. أنت تصفح عن مذنب إليك وأنت نفسك محمَّلٌ بالذنوب؛ أما الله فينعم بالصفح وهو القداسة عينها المنزَّه عن كل شائبة.

الرب يعطي البرهان الأكيد على عِظَم لطفه. وقد كان من الممكن أن يغفر لك خطاياك دونما قيد أو شرط؛ ولكن كونه لم يفعل ذلك إلا مقابل غفرانك أنت لأخيك، إنما يوجِد لك ألف فرصة لتمارس اللطف والمحبة. إنه يفتح أمامك باباً لإطفاء غضبك وإخماد كل ما من شأنه أن يولِّد في قلبك الشراسة التي لا إنسانية فيها؛ إنه يعلِّمك أن تتآلف مع إخوتك بمودة قلبية، أولئك الذين هم معك أعضاء في الجسد الواحد.

بعد هذا بأي عذر تدثر نفسك؟ أتقول أن أخاك قد أساءَ إليك دونما علّـة؟ وإذا فُرِضَ هذا فالمطلوب منك أيضاً أن تغفر له. فلو أنه كان علـى فيمـا حـق فعله، فما كان هناك ذنب يُغفر له. أما كونه أساء إليك على غير حـق، فهـذا هو الذنب الذي يحضـك الـرب أن تغفـره لـه؛ كمـا مـن أجـل ذنـوب مماثلـة وأخرى كثيرة أكثر منها جرماً تطلب أنت من الله أن يغفرها لك. بل وحتـى قبل أن يمنحك الغفران، أنعـم عليـك بالكيفيـة الـتي تطلـب بهـا، وذلـك بـأن أفهمك كيف ينبغي أن تكون لطيفاً ومحباً من نحو الآخرين. بـل ووعـدك بعـد هذا بجزاءٍ عظيم في توكيده لك أنه لن يحاسبك بعد بأي ذنب ارتكبته.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

* * *

+ إن إشعياء النبي المبـارك عندمـا كـان يعلـن طريـق الخـلاص عـن طريـق الإنجيل العتيد أن يُستعلن، نطق هكـذا قـائلاً في موضـع مـا مـن سِفْرِ نبوّاتـه: «وتكون هناك طريق سوية يُقـال لهـا الطريـق المقدسـة» (إش ٣٥: ٨)، لأنهـا تقـود أولئـك الذيـن يسـلكون فيهـا إلى القداسـة بعبـادة روحيـة وبرٍّ يفـوق الناموس.

+ ويحضرنا كذلك ما يقوله المخلِّص لِمَنْ يحبونه: «الحقَّ أقول لكـم: إن لم يَزِدْ برُّكم على الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت الله» (مـت ٥: ١٠). إنه من اللائق لِمَنْ دُعُوا بالإيمان إلى معرفة مجد المسيح مخلِّصنا وقد اتخذوه مثالاً

أعلى لهم؛ أن يُسَرُّوا بالاقتداء بأعماله، وأن يكونوا غيورين بأن يضيء نورهم بالسيرة المقدسة التي كانوا يجهلونها سابقاً قبل أن يأتوا إلى الإيمان «لأن مَنْ كان في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧). فالرب يطلب من تلاميذه أن يكونوا ودعاءَ متسامحين، حتى يمكن أن يكون لهم الدالة أن يقولوا بلا ملامة في صلواتهم: «اغفر لنا آثامنا؛ لأننا نحن أيضاً نغفر لكل مَنْ أساء إلينا».

+ يا لِعظَم حكمة الله العجيبة وعمق وغِنَى معرفته الفائقة؟ إنه يطلب منهم أن يسألوه الصفح عن ذنوبهم التي ارتكبوها، بشرط أن ينووا هم أن يصفحوا كذلك وتماماً للآخرين ذنوبهم؛ وكأنهم يطالبون الله أن يطيل أناته عليهم كما يفعلون هم أيضاً مع الآخرين؛ وأن يعاملهم بمثل اللطف الذي يمارسونه هم مع العبيد رفقائهم. إنهم يتوسلون أن ينالوا نفس الكيل من الله، الذي يجازي بعدل، ويعرف كيف يُظهر الرحمة لكل مَنْ يعمل الرحمة.

+ فتعالوا بنا نسعى جادين لندرك بوضوح أكثر معنى هذه الصلاة؛ بالتعمق في هذا النص الذي أمامنا.

+ فكما قلت: إن الرب أوصانا عندما نتقدم إليه (بالصلاة التي علّمنا إياها) أن نقول: «اغفر لنا ذنوبنا». فلنتأمل معاً فحوى هذه العبارة لنجتني ثمارها المطلوبة: فالذين يتوسلون إلى الرب هكذا، فإنهم لا يمكن بطبيعة الحال أن يكونوا متشامخين، أو يرتأوا في أنفسهم أموراً عظيمة، ولا يمكن أن يتعالوا على الضعفاء؛ بل كما يقول الكتاب: «هم قضاة لأنفسهم» (أم ١٣:١٠ –

بحسب السبعينية). فَهُم ليسوا مثل ذلك الفريسي المُدَّعِي المتعالي، الذي يتجاسر حتى على أن يُشْهد الرب نفسه (على أعمال برِّه الشخصي)، بحسبما يقول ذلك المثل (الذي في الإنجيل): «إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا، واحدٌ فريسي والآخر عشار. أمَّا الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: اللهمَّ أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشَّار؛ أصوم مرتين في الأسبوع وأُعشِّر كل ما أقتنيه. وأمَّا العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء؛ بل قرع على صدره قائلاً: اللهمَّ ارحمني أنا الخاطئ. أقول لكم (يقول الرب يسوع) إن هذا نزل إلى بيته مبرَّراً دون ذاك» (لو ١٨: ١٠-١٤).

+ فانظر كم هو مُهلك للنفس أن يعتزَّ الإنسان بذاته ويتباهى على مَنْ هم ضعاف، متوهِّماً أن سيرتنا غير جديرة بالملامة على الإطلاق. وإنما ينبغي علينا أن نضع في اعتبارنا على الدوام «أننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣: ٢). بل ويمكننا أن نقول إننا دائماً نخطئ ولو بغير إرادتنا، لأنه مكتوب: «السهوات مَنْ يشعر بها»، وها هو مُنْشِدُ المزامير المغبوط يتوسل إلى الله برغبة حارة وبصراحة تامة قائلاً: «من الخطايا المستترة أبرئني، ومن المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ، حينئذٍ أكون بلا لوم وأتبرَّأ من ذنب جسيم» (مز ١٩: ١٣). وكذلك أيضاً أيوب، الذي كان مثالاً عظيماً في الصبر، نراه يقدِّم ذبائح عن خطايا أبنائه، المجهولة أو بالأحرى غير المُدْرَكة، متبصِّراً فيما يفعلون قائلاً: «ربما أخطأ بنيَّ وجدَّفوا على الله في قلوبهم» (أي ١: ٥).

ونذكر أيضاً بولس ذا الحكمة العالية الذي عندما كتب قائلاً: «فإني لست أشعر بشيء (من الخطأ) في ذاتي»، استدرك قائلاً بفطنة: «لكنني لست بذلك مبرَّراً؛ ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب.» (١كو ٤:٤)

+ إذاً، من النافع لنا جداً وعلى الدوام أن نَخُرَّ ساجدين أمام الله الذي يحب كل ما هو صالح ونقول: «اغفر لنا ذنوبنا»، فهو قد قال بفم أحد أنبيائه القديسين: «أقِرَّ أولاً بتعدياتك وأنت تتبرر» (إش ٤٣:٢٥و٢٦). وإذ لم يكن هذا المبدأ مجهولاً لدى المغبوط داود، فقد أنشد هكذا في مزاميره قائلاً: «قلتُ أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت إثم قلبي» (مز ٣٢:٥ - بحسب السبعينية). لأن الله سريعاً ما يرضى على الإنسان، ويترأف على مَنْ لا يتناسون ذنوبهم؛ بل يتواضعون أمامه ويسألون غفرانه: إلا أنه شديد بحق وعدل على قساة القلوب والمتكبرين، وعلى كل مَنْ يسعى بمنتهى الجهل أن يبرئ نفسه من أيِّ ملامة. فالرب قد قال لِمَنْ هو على مثال هذه الحال: «ها أنذا أُحاكمك لأنك قلتَ لم أخطئ» (إر ٢:٣٥). لأنه مَن يمكنه أن يفتخر بأن له قلباً نقياً (من كل عيب)؟ أو مَنْ يقدر أن يجرؤ ويقول أنه بريء من الخطايا؟

+ إذاً، فالطريق المؤدي إلى الخلاص، والذي ينقذ السائرين فيه باجتهاد من السخط الإلهي، هو الإقرار بالذنوب، وأن نقول في صلواتنا لِمَنْ يبرر الأثيم: اغفر لنا آثامنا.

+ هناك أيضاً طريق نافع لنا: فأولئك الذين يعترفون بحق أنهم قد أخطأوا، ويتوقون أن ينالوا الصفح من الله، فهؤلاء بالضرورة سيهابونه باعتباره مزمعـ

أن يكون ديَّاناً لهم: فَهُم لا يمكنهم أن ينسوا أنهم سيقفون أمام كرسي دينونة الله الرهيب. وكما يكتب بولس الفائق الحكمة: «لأنه لابدَّ أننا جميعاً نُظْهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢كو ٥:١٠). أما أولئك الذين يضعون في اعتبارهم أنهم لابدَّ أنهم سيقفون أمام كرسي الديَّان، ويعطون حساباً عمَّا فعلوا، وأنهم إذا أُخذوا بجريرةٍ ما، فسوف يقاسون أمرَّ العذاب، أو سيكرَّمون إذا ما كانوا قد سلكوا سلوكاً حميداً وعاشوا حياة فاضلة في الجسد على الأرض؛ مثل هؤلاء سيتوقون إلى الصفح عمَّا ارتكبوا من خطايا حتى ينجوا من العذاب الذي لا نهاية له والعقوبة الأبدية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنهم يهتمون بأن يحيوا باستقامة ويسيروا سيرة لا عيب فيها، حتى يمكنهم أن ينالوا الإكليل اللائق بحياتهم الفاضلة. لأنه بهذا سيتلطف بهم الديَّان (العادل)، ولن يذكر لهم شيئاً مما عملوه من سيئات، فالرب يقول: «والشرير لا يعثر بشره عند توبته عن إثمه.» (حز ٣٣:١٢)

+ ولكن لا يتوهم أحد، أنه يحق لكل الناس بلا تفرقة أن يقولوا: «اغفر لنا آثامنا»، فإنه لا يليق بمَنْ يستمرئون البقاء في شرورهم أن يقولوا: «اغفر لنا ذنوبنا»؛ بل لِمَنْ تخلَّوْا عن رذائلهم السابقة راغبين بكل اشتياق أن يحيوا كما يليق بقديسين. وإلا فلا شيء يمنع فَعَلة الشر، ضاربي الآباء وقاتلي الأمهات، والفاسقين، والسحرة، وكل مَنْ ارتكب مثل هذه الجرائم الأشد شناعة، أن يستمرئ فعلها ويعزز وجود دوافعها الشريرة كما هي بدون

تغيير، ويتبع هواه إلى كل فعل نجس ودنئ، ثم يتقدم إلى الله بجسارة ويقول: «اغفر لنا ذنوبنا»؛ فإن مخلِّص العالم ورب الكل (عندما علَّم تلاميذه الصلاة الربانية) لم يختم هذه العبارة عند هذا الحد؛ بل أمرنا أن نضيف قائلين: «لأننا نحن أيضاً أنفسنا قد تركنا لكل مَنْ هو مديون لنا (بمعنى أساء إلينا)»، فإن هذا لا يتناسب إلا مع الذين قد اختاروا لأنفسهم الحياة الفُضْلَى، وساروا بلا تراخٍ في طريق مشيئة الله، تلك التي هي - كما يقول الكتاب - «صالحة ومرضية وكاملة» (رو ١٢:٢). هؤلاء يتحلُّون بطول الأناة ويبرئون أولئك الذين أساءوا إليهم من كل عيب، وحتى إذا ما ضايقهم أحد فإنهم لا يعاودون التفكير في شيء مما أَلَمَّ بهم. فالحِلْمُ هو فضيلتهم المكرَّمة، وهو في نفس الوقت ثمرة المحبة التي قال عنها بولس الرسول الحكيم (الروحاني) أنها: «تكميل الناموس.» (رو ١٣:١٠)

+ ثم تأملوا معي في حُسْن هذه الفضيلة الفائق ولو بالمقارنة مع قُبح الرذيلة المضادة لها (على حسب المبدأ العام أن الأشياء تُعرف من أضدادها). لأن الغضب في الواقع هو مرض خطير ومَنْ استسلم له بفكره صار إنساناً حاد الطبع، نَكِداً، عنيفاً وعنيداً، ومرتعاً خصباً للغضب والهياج (لأتفه الأسباب)؛ وإذا ما استمر المرء على هذه الحال وقتاً طويلاً لكان من الصعب شفاؤه؛ بل وأكثر من ذلك نجده دائماً ينظر بعين شريرة لكل مَنْ أساء إليه. فهو يترقبه بحقد شديد، متطلعاً إلى: متى وأين يمكنه أن يُلحِق الضرر به، وهذا في أغلب الأحيان لا يكون كيلاً بكيل؛ بل مرات كثيرة يكون الانتقام أشدَّ

من الإساءة بكثير، إن مثل هذا الإنسان لا يكفُّ عن تدبير المكيدة في الخفاء. ألا يكون مثل هذا قد عرَّض نفسه لكل العيوب؛ بل ومُبغِضاً لله ومرفوضاً منه؛ وبالتالي يكون في غاية البؤس؟ كما هو مكتوب «أما سُبُل الغضب فهي إلى الموت.» (أم ١٢:٢٨ - حسب السبعينية)

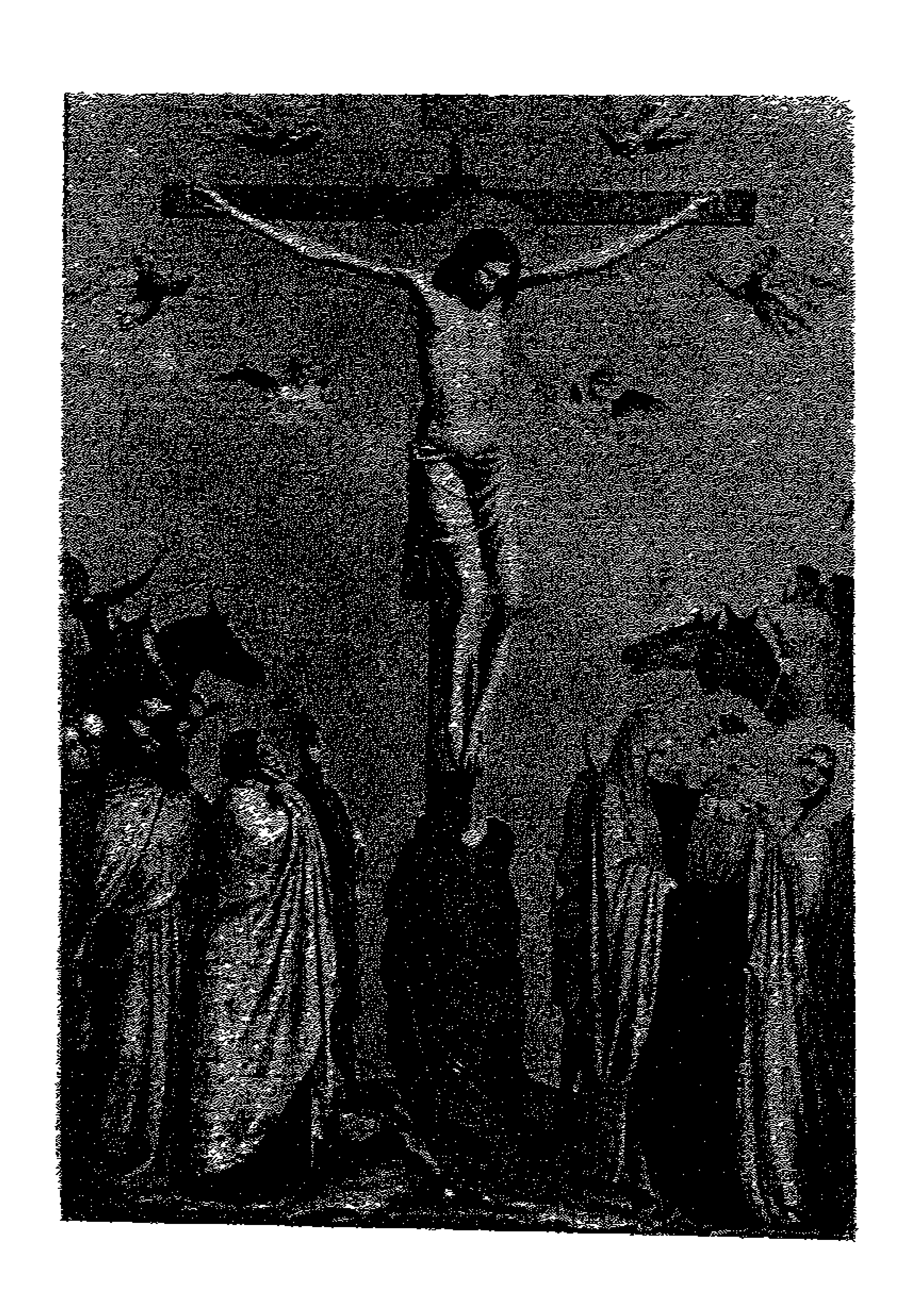
+ ولكن الإنسان البسيط القلب غير الغضوب يتّسم بالاحتمال، إلا أن الاحتمال الذي يمارسه البشر، ليس بنفس القدر كالذي يأتي من فوق ومن الله. فإنسان الله لا يستسلم قلبُه لإنفعال الغضب؛ بل يسود عليه ويتحكم في نفسه أمام كل استثارة مُكدِّرة تنشأ فيه. إنه صفوح وعطوف مع كل رفقائه، لطيف وودود ومترفق بالضعفاء - وهذه كانت سجايا تلاميذ المخلِّص - وها هو المغبوط بولس يكتب قائلاً: «نُشْتَم فَنُبارِك، نُضطَهد فنحتمل، يُفْتَرى علينا فنتوسل (من أجل المفترين علينا)» (١كو ٤: ١٢و١٣)، لأنهم تمثلوا بربهم «الذي إذْ شُتِم لم يكن يَشْتِم عوضاً، وإذ تألَّم لم يكن يُهدِّد؛ بل كان يسلِّم لِمَنْ يقضي بعدل.» (١بط ٢:٢٣)

+ فنحن، إذاً، ينبغي علينا أن نطلب من الله مغفرة خطايانا التي ارتكبناها، إذا ما نحن أنفسنا قد سبقنا وغفرنا لِمَنْ أساء إلينا في شيء، بشرط أن تكون خطيتهم ضدنا وليس ضد مجد الله الكائن على الكل. لأن هذه الأخيرة (أي التي ضد مجد الله)، ليس لنا سلطان عليها؛ بل على تلك التي تكون قد ارْتُكِبت ضدنا نحن، وبالصفح عن إخوتنا عمَّا عملوه في حقنا يقيناً سنجد المسيح مخلِّص الجميع مترفقاً بنا، مستعداً أن يُظهر لنا رأفته (في كل

وقت): الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى أبـد الآبدين آمــين.

## القديس كيرلس الكبير

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)



# ٧. ولا تُدخلنا في تجربة،
# لكن نجنا من الشرير

## لا تُدخلنا في تجربة

الرب يحثنا على مطلب آخر: «لا تسمح (يا رب) أن نُغوَى بتجربة»؛ ومن هذا القول يتبين أن خصمنا لا يمكنه أن يفعل أمراً ما ضدّنا دون سماح سابق من الله؛ وعليه فهو وحده الذي ينبغي علينا أن نخافه ونتقيه ونراعيه في كل شيء؛ لأن سلطان العدو في التجارب التي يحيكها ضدنا هو خاضع لسلطان الله. هذا ما يؤكّده الكتاب المقدس عندما يقول: «وجاء نبوخذ نصَّر إلى أورشليم وحاصرها وأسلمها الرب إلى يديه.» (٢مل ٢٤:١١)

العدو يُعطَى سلطاناً علينا من جراء خطايانا، حسبما هو مكتوب:

+ «من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين؟ أليس هو الرب الذي **أخطأنا إليه**. ولم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا لشريعته فسكب عليهم حمو غضبه.» (إش ٤٢:٢٤و٢٥)

وعن سليمان الذي أخطأ وحاد عن طُرُق الرب قيل: والرب أقام الشيطان ضده.

+ الله قد يُعطي إبليس السلطان علينا لغايتين:

إما لأجل تأديبنا إذا أخطأنا؛ أو من أجل تمجيدنا إذا جُزنا الامتحان. وهذا ما نراه في حالة أيوب: «هوذا كل ما له في يدك. وإنما إليه لا تمدَّ يدك.» (أي ١:١٢)

وفي الإنجيل يقول الرب إبَّان آلامه: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو ١٩:١١). فإذاً عندما نصلي أن لا ندخل في تجربة، نحن نتذكر ضعفنا حتى لا يفتخر أحدٌ بنفسه، أو يترفع أحد بجسارة، ناسباً لنفسه المجد في إيمانه أو في آلامه، بينما الرب يعلِّمنا بنفسه الاتضاع، عندما يقول: «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. الروح نشيط أما الجسد فضعيف.» (مر ١٤:٣٨)

فإذا ما اعترفنا بضعفنا أولاً، وإذا ما سلَّمنا لله أمرنا في كل ما نطلبه بمخافة ووقار، فإننا نستطيع أن نكون على يقين من أن لطفه سيمنحنا إياه.

## لكن نجنا من الشرير

بعد كل هذا تكتمل الصلاة (الربانية) بخاتمة تجمع باختصار كل الطلبات. في النهاية نقول: ولكن نجنا من الشر (أو الشرير). ونحن نفهم بهذا ما يحيكه العدو ضدنا من مكائد في هذا العالم، ولكننا على يقين أن لنا سنداً قوياً، وذلك عندما يأتي الرب إلى نجاتنا ويمنح الغوث لِمَنْ يترجونه. فعندما نقول:

«نجنا من الشر (أو الشرير)»، لا يبقى لنا شيء بعد نلح في طلبه: فقد طلبنا أخيراً حماية الله لنا مقابل الشر. هذه الصلاة تجعلنا محصَّنين ضد مكايد الشيطان أو العالم. ومَنْ يخشى العالم، إذا كان الله هو نفسه الحامي لهذا العالم وهو حامينا أيضاً؟

+ إني لمتعجب يا إخوتي الأحباء لروعة هذه الصلاة الربانية التي مع إيجازها تشمل كل مطالبنا... بالحقيقة إن ربنا يسوع المسيح كلمة الله جاء لأجل كل البشر، للحكماء كما للجهلاء، دون تفريق بين الأجناس أو الأعمار، مُرجعاً مبادئ الإيمان إلى أصولها الأوَّلية حتى يمكن لأبسط الناس أن يمسك بها.

**القديس الشهيد كبريانوس**

أسقف قرطاجنة

* * *

**التجربة قد تكون انخداعاً من الشهوة:**

+ إذ نقول: «لا تُدخلنا في تجربة»، هذا يعني أننا مُعرَّضون للوقوع في أيٍّ منها طالما نحن نعيش عبر هذه الحياة. ونحن نقرأ في سفر أيوب: «أليست حياة الإنسان تجربة على الأرض» (أي٧: ١ - حسب السبعينية). فماذا نطلب إذاً؟

اسمع ما يقوله يعقوب الرسول: «لا يقُل أحدٌ إذا جُرِّب إني أُجرَّب من قِبَل الله» (يع ١: ١٣): التجربة هنا هي من النوع الضار ويقصد بها

الخداعات والعثرات التي يحدثها عدو الخير. هناك لون آخر من التجارب التي يمكن أن تُسمَّى أيضاً «اختبارٌ»، وهذه هي التي كُتب عنها: «الرب إلهنا يجرِّبك حتى يعرف إذا كنت تحبه»؛ وماذا يعني بقوله: «حتى يعرف»؟ أي حتى يجعلك أنت تعرف، أما هو فعارف بكل شيء. فالله لا يرسل على أحد تجربة من شأنها أن تغوي وتضلل! ولكن الله في أحكامه ذات الأسرار العميقة، عندما يتخلى عن البعض، فإنه يكون قريباً منهم مستعداً لمعونتهم رغم عدم وعيهم، وبذلك يعطيهم فرصة إعلان محبتهم وإيمانهم. والإنسان الذي يظن أن الرب قد أسلمه فريسة للعدو، يضيِّع على نفسه الخير المتأتي من وراء التجربة؛ لأن العدو لا يملك السلطان لإيذائه. وحتى لا نُترك هكذا، نحن نصرخ قائلين: «لا تُدخلنا في تجربة».

وفي هذا المجال يقول الرسول القديس يعقوب: «كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية. والخطية إذا كَمِلَتْ تنتج موتاً» (يع ١: ١٤و١٥)، فإلى أي شيء يرمي هذا التعليم؟ يرمي إلى أن نقاتل شهواتنا، لأنه وإن كانت كل خطايانا قد غُفرت بالمعمودية، إلا أن شهواتنا ما زالت قائمة. فيا مَنْ وُلدتم جديداً للمسيح لا تسأموا الجهاد، لأن الحرب ما برحت قائمة في داخلكم. لا ترهبوا العدوَّ الذي يأتي من الخارج، فإنك إذا غلبت نفسك فستصير غالباً للعالم! فماذا يستطيع أن يفعل لك الذي يجرِّبك من الخارج سواء أكان الشيطان أو أحد أعوانه؟ فهو لكي يخدعك، يعرض عليك ربحاً غير مشروع، فإذا لم تتحرك فيك شهوة الطمع

فأي تأثير يمكنه أن يطبعه عليك؟ لأن حب القنية إذا ما احتـل القلـب تشـتعل شهوات حب المال بمجرد رؤيته. فأنت تقع في الفخ بسبب طُعْـمٍ قـد حُـذِّرت من الاقتراب منه. وعلى النقيض من ذلك فإنك إذا كنت متحرراً مـن الطمـع فعبثاً يلقى أمامك فخ الصياد.

قد يحاول المجرِّب أن يخدعك بحسن زائل لامرأةٍ ما، فإذا ظللت أميناً علـى العفة في داخلك فستكون لك النصرة على الخطيئة من الخـارج. فلكـي تنجـو بنفسك من مجاذبات هذا الحسن العابر، قـاتل الشـهوة في قلبـك. إنـك قـد لا تحس بالأشراك التي ينصبها العدو لك بينما لا تـراه هـو نفسـه؛ ولكنـك تـرى فقط الطُعم الذي يغريك به. اغلب ميولك الداخلية. قاومهـا وقاومهـا دائمـاً، فإن الذي منحك الميلاد الجديد هو هـو حَكَـمُ الميـدان. والـذي فـرض عليـك المبارزة هو الذي يعدُّ لك إكليل الظفر. وبمـا أنـك لابـد وأن تنهـزم لـو أنـك حُرِمت من معونة الله وبُليت بتخليته عنك، لذا وجب عليك أن تناديـه علـى وجه التحديد في الصلاة الربانيـة قـائلاً: «لا تدخلنـا في تجربـة». لأن غضـب الحَكَمِ (الإلهي) قد أسلم البعض إلى شهواتهم حسـبما يقـول بولـس الرسـول: «أسلمهم الله في شهوات قلوبهم.» (رو ١ : ٢٤)

**«نجنا من الشر (الشرير)»:**

مضمـون هذه الصـلاة كسـابقتها تمامـاً، وكلاهمـا يحمـل نفس المعنى: لا تدخلنا في تجربـة، لكن نجنا من الشـرير»، فإنـه بإضافـة كلمـة «لكـن» يبـين ارتباط معنى الطلبتين المباشر... فإذا أخذنا الطلبـة الأولى بعـد الطلبـة التاليـة،

ففي كون الرب ينجينا من الشر فإنه لا يدخلنا في تجربة، وأن لا يُدخلنا في تجربة يعني ضمناً أنه ينجينا من الشر.

**التجربة العظمى: شهوة الانتقام:**

+ التجربة العظمى في هذه الحياة، يا إخوتي الأحباء؛ بل التجربة الخطيرة التي تهاجمنا، وتهاجم الواسطة التي أعطاها لنا الله لننال بها الصفح عن ذنوبنا التي اقترفناها سابقاً أو التي نقع فيها وتحرمنا من الدواء الوحيد الذي يمكن أن يشفينا من الجروح التي تصيبنا من التجارب الأخرى... هي عندما نكون مدفوعين للانتقام لأنفسنا ونتأجج غضباً ونهدد بالانتقام؛ هذه هي التجربة الشنيعة. وهي التي تضيِّع علينا - واحسرتاه - فرصة الواسطة التي بها ننال الصفح عن آثامنا الأخرى. فأنت مهما استسلمت إلى انفعالات محرَّمة، وإلى شهوات أثيمة فسوف تبرأ من كل هذه العلل بقولك: «اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً لِمَنْ أساءوا إلينا». ولكن كونك تنساق إلى الانتقام، فهذا يفقدك ما تستوجبه هذه الكلمة: «كما نغفر نحن لِمَنْ أساءوا إلينا»؛ وفي خسرانك لهذا الاستحقاق تبقى في خطاياك ولن تتبرر مطلقاً من أيٍّ منها.

إن ربنا ومخلِّصنا كان يعرف أن هذه التجربة هي أشد ما يُخشى منه في هذه الحياة. لذا فإنه في تعليمه لنا الصلاة بهذه الطلبات الست أو السبع، التي تشملها الصلاة الربانية، لم يهتم أن يشرح لنا ولا واحدة منها ولا شدَّد الكلام على إحداها بمثل ما شدَّد على هذه الطلبة. ألم يقل: «أبانا الذي في السموات»؟ فلماذا لم يوضِّح لنا شيئاً مما ذكره في أول الصلاة أو آخرها أو في

وسطها؟ فلماذا لم يقل شيئاً عمَّا عساه يحدث لكم إذا لم يتقدس اسم الرب فيكم، أو إذا لم تُقْبَلوا في ملكوته، أو إذا لم تتم فيكم مشيئته كما هي في السماء؟

+ وماذا يقول إذاً؟ إنه يقول: «الحقَّ أقول لكم إنكم إذا غفرتم للناس زلاتهم»؛ وذلك تعليقاً على الطلبة: «اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً لِمَنْ أذنبوا إلينا»؛ فدون أن يعرج على أيٍّ من الطلبات التي علَّمنا إياها نجده يشدِّد بقوة على هذه الطلبة (مت ٦: ١٤).

+ حقاً لم يكن هناك ضرورة لتشديد الكلام على بقية التعديات الأخرى التي يمكن للخاطئ أن يعرف كيفية الشفاء منها؛ ولكنه رأى واجباً الإلحاح على هذه الخطية لأنها أكثر التعديات خطورة، لأنها تجعل الشفاء من كل الخطايا الأخرى مستعصياً.

إننا نقول: «اغفر لنا ذنوبنا»، أية ذنوب هذه؟ آه! لقد طفح الكيل منها، لأننا بشر (تحت الآلام): تكلَّمت أكثر قليلاً مما ينبغي، وقلتُ ما كان واجباً عليَّ أن أصمت عنه، ضحكت أكثر مما يليق، أكلت وشربت متجاوزاً حد الضرورة؛ أنصتُّ بلذة إلى ما لا يليق بي أن أسمعه؛ تفرَّست عن رضىً في ما لا يجب عليَّ؛ وسرحت الفكر بمحض إرادتي فيما كان محرَّماً عليَّ أن أفعله. إذاً فأنت ضائع لا محالة إن لم تستطع أن تقول هذا بحق: «اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا».

+ تمعَّنوا يا إخوتي؛ تمعَّنوا يا أبنائي، تمعَّنوا يا مَنْ صرتم بنين لله، تمعَّنوا فيما أقوله لكم. جاهدوا بكل قواكم قبالة قلبكم؛ وإذا رأيتم أن روح الغضب قائم عليكم ترجُّوا معونة الله مقابله، وليت الرب ينصركم؛ نعم ليت الرب ينصركم ليس من الخارج على عدوكم، ولكن من الداخل على أنفسكم. توسل إليه فيأتي إلى معونتك فعلاً بكل تأكيد. إنه يحب أن يرانا نطلب منه هذا أفضل من المطر.

أنتم ترون في الواقع يا أحبائي كم من الطلبات علّمنا إياها ربنا يسوع المسيح، وواحدة منها فقط عن خبزنا اليومي. فإنه يودّ لنا أن تكون كل نوايانا هادفة إلى الحياة الأبدية. فأي شيء نخشى أن ينقصنا إذا كان قد عاهدنا بوعدٍ قائلاً: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه (الأشياء) كلها تُزاد لكم» (مت ٦:٣٣)؛ لأن أباكم يعلم أنكم تحتاجون إليها قبل أن تسألوه؟

**القديس أغسطينوس**

من عظة له للمعمَّدين الجُدُد

* * *

**هذه الطلبة لحفظ اتضاعنا:**

+ ليس شيء أصلح لنا ليجعلنا نرى ضعف طبعنا ويخفض من زهونا، أكثر من هذه الأقوال التي تُعلِّمنا ألاّ نفرَّ من ساحة المعركة، ولكن دون أن

نزجَّ نحن بأنفسنا فيها. وهكذا سيكون أكثر مجداً لنا أن ننتصر وأكثر خجلاً للعدو أن ينهزم؛ وعندما نضطر أن نحارِب فلنفعلْ ذلك بجَلَدٍ وشهامة؛ أما إذا لم نُدعَ إلى ذلك فلنثبت في موقفنا بهدوء وسكينة، ولكن ونحن على أُهبة الاستعداد لمواجهة القتال حينما يأتي، حتى نجمع بين الاتضاع والشجاعة في نفس الوقت.

+ إن المفهوم من كلمة «من الشر» التي تعني أيضاً «من الشرير»، هو «الروح الشرير»؛ والرب يسوع يحثنا أن لا نتهاون أبداً مع عداوة هذا الروح الشرير التي لا تقبل المصالحة، وهو يسميه بصفة مطلقة «الشرير»، لأنه على درجة فائقة من الشر. فهو بدون أن تلحقه أدنى بلية بسببنا يثير ضدنا حرباً لا هوادة فيها(١).

+ الرب يعلِّمنا لا أن نقول: «نجنا من الأشرار»؛ بل «من الشرير». لأنه يريدنا ألا نكون على شيء من الضغينة ضد إخوتنا من جهة الشرور التي نعانيها منهم؛ بل أن نوجِّه كل بغضتنا لروح الشر هذا، المبدع والأصل الحقيقي لكل الشرور.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

---

(١) التقليد الكنسي بإضافته كلمة «بالمسيح يسوع ربنا» حسب قول المسيح نفسه: «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم» (يو ١٦:٢٣)، أوضح شخصية المنقذ والمحارب المقتدر الذي نجّانا من سلطان إبليس الشرير، وهو ينجّي أيضاً وباستمرار.

+ هلموا بنا يا جميع مَنْ تحبون أن تكملوا المشيئة الإلهية، ويا مَنْ تشتاقون بغيرة حارة أن تسلكوا حياة لا عيب فيها، لنتقرب إلى الله الكائن على الكل، ونتوسل إليه قائلين: «طُرُقَكَ يا رب عرِّفْني. سُبُلَكَ علِّمني» (مز ٢٥: ٤). لأن كل حكمة وفهم هما منه، ومعرفة كل صلاح تأتينا من فوق صادرة من عرش النعمة الإلهي؛ كما من ينبوع ماء جارٍ لا ينضب أبداً، ولا يمكن لإنسان أن يكمل أي عملٍ حميدٍ ما لم يأخذ القدرة على ذلك منه - تمجد اسمه - وهذا ما يعلِّمنا إياه الرب نفسه قائلاً: «بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً». فالرب الذي يعطي كل إنسان كل الأشياء التي تؤدي بحق إلى مجده، هو الذي يقودنا الآن إلى واحدٍ من هذه الأمور الهامة لخلاصنا. فهو يوصينا عندما نقف للصلاة أن نقول: «لا تُدْخِلْنا في تجربة».

+ بهذه الطلبة يختم القديس لوقا (في إنجيله) الصلاة الربانية، أما القديس متى فنجده يضيف: «لكن نجنا من الشرِّ (أو الشرير)»، ولابدَّ من علاقة متوارية في كلا النصين: فمن الواضح أنَّ مَنْ لا يُدْخَلون في تجربة، أنهم أيضاً يُنَجَّوْنَ من الشرير...

+ ولكن لنتأمل في هذا: هل يرضى مخلِّصُ وربُّ الكل لأحبائه أن يكونوا جبناءَ؟ أو أن يكونوا قاعدي الهمة ومتخاذلين، مفضِّلين بالأحرى أن يتجنبوا المباراة من أن يفوزوا بإكليل المجد؟ إلا أن الروح القدس يقول في سفر المزامير «تشدَّدوا، ولتتشجَّع قلوبكم، يا جميع المتكلين على الرب» (مز ٣١: ٢٤) والمخلِّص نفسه يقول في موضع ما: «طوبى للمضطَهَدين من أجل البر، لأ

لهم ملكوت السموات» (مت ٥: ١٠). فإذا كان الرب يتوِّج بمثل هذه الكرامات ذاك الذي يُضْطَهَد، والاضطهاد هو بلا شك محنة (أو تجربة) للإنسان، فبأي معنى يوصيهم الرب، إذاً، أن يتفادوا التجربة؟ إن الذين يدخلون المباريات الرياضية ويوجَدُون مستحقين للتكريم وتصفيق الأيدي لا يحصلون على ذلك من فراغ ولا بدون بذل مجهود، أو وهم نائمون على بساط الراحة؛ بل بعد كدٍّ وعناء شديدين في تدريبات عنيفة. كذلك ليس في وقت السِلْم يُعرف الرجل المتضلع جيداً في فن «التكتيك» الحربي، ولا الشجاع المحنَّك في المعارك؛ بل عندما يُرَى هذا الإنسان مُنازلاً شديد البأس مقابل عدوِّه. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نرى الرب وكأنه يعوِّق محبيه (عن الدخول في الجهاد) بجعلهم يقولون: «لا تُدخلنا في تجربة»؟

+ نُجيب على هذا بقدر ما يمكننا من فهم، فنقول: إن الرب لم يُرِدْ لتابعيه أن يكونوا مُستضْعفين أو كسالى في أي طريق (صالح) يسلكون فيه، حتى إنه يستحثهم أن يكونوا ذوي بأس في كل أمر حميد قائلاً لهم: «ادخلوا من الباب الضيق. لأنه ما أضيق الباب وأعسر الطريق الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية، وقليلون هم الذين يجدونه» (مت ٧: ١٣و١٤). فينبغي إذاً أن يكون لنا غيرة روحية قوية ودائمة وطول أناة مع فكرٍ ثابت لا يتزعزع (في الملمات مهما كانت)، هذا ما كان عليه المغبوط بولس عندما قال: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرْيٌ أم خطر أم سيف» (رو ٨: ٣٥).

+ ولكن حتى إذا ما تسلّحنا بهذه النية وبلغنا إلى هذه المعايير من الشجاعة إلا أنه ينبغي علينا ألاّ نعتبر أنفسنا شيئاً؛ بل أن نكون «مساكين بالروح» حسب قول المخلِّص (مت ٥ :٣)، وألاّ نتصوَّر دائماً أننا حتماً ستتغلب على كل التجارب. لأنه أحياناً قد تداهم عقل الإنسان رُعْبة لا تُطاق تَنْزِلُ به إلى أشد أنواع المخاوف، كما يفعل الشيطان المبغِض لكل خير؛ وإن عنف التجربة أحياناً قد يَهُزُّ عقل أشد الناس شجاعة كما تفعل كذلك لطمات الأمواج العنيفة التي لا تُطاق فتحطِّم أمتن السفن بناءً وأكبرها حجماً. وهكذا يفعل عدد كثيف من القذائف تُرشق بيدي العدو من شأنها أن تجعل أشدَّ الجنود بسالةً يُولِّي الأدبار.

+ إذاً، لا ينبغي لأحد أن يطمئن لنفسه غير مبالٍ بمصادمة التجارب، مهما كان شجاعاً رابط الجأش؛ بل لنعرف وهن تفكيرنا وليكن لنا مخافة واعية، لئلا نكون مثار سخرية أمام مناوئينا، بكوننا غير قادرين على تحمُّلِ شدة القتال.

+ إذاً، فلنصلِّ أن لا نُجرَّب، لأنه أمر صعب أن نفرَّ من التجربة، وإنه لأمر متعذر على الغالبية العظمى من الناس أن يصمدوا فيها. ولكن إذا ما دعت الضرورة وأُلقينا فيها رغماً عنا، فلابدَّ أن ندخل المعركة باذلين أقصى جهدنا ونصارع من أجل (خلاص) نفوسنا، غير هيَّابين شيئاً البتة؛ بل مسترجعين في وعينا ما قاله لنا المسيح مخلِّص وربُّ الكل: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من

الذي يقدر أن يُهلك النفس والجسد كليهما في جهنم» (مت ١٠:٢٨). وكما كتب أيضاً ذلك الرسول القديس قائلاً: «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة. لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب الذين يحبونه.» (يع ١:١٢)

+ هناك، على أي حال، أنواع عديدة من التجارب: منها اثنتان عامتان وشائعتان ومنتشرتان جداً في كل مكان؛ ومن اللائق بنا أن نوقفكم عليهما. ففي العالم توجد هرطقات (شِيَع) كثيرة: رسلٌ كذبة، معلّمون كذبة، الذين يحشون عقولهم ويثقلون ذواتهم بعلل بدع جافة لا روح فيها، مفتخرين بمعرفة فنون حكمة هذا الدهر، يزيّفون لغة الاستعلانات الإلهية (المدوّنة في الكتب المقدسة)، ويكثرون من أقوال التجديف مغالطين أنفسهم. وكما يقول المزمور: «يرفعون إلى العُلا قَرْنَهم متكلمين بالإثم ضد الله» (مز ٧٥:٥)، أجل، وضد الله الكلمة خالق الكل. الذي - بحسب زعمهم - يعتبرونه شيئاً ما ضمن تلك الأشياء، التي لم يكن لها وجود في الواقع إلاَّ به؛ بل ويقولون إنه عبدٌ (خادمٌ) وليس ابناً؛ بل واحدٌ من الخلائق وليس ربًّا. وهؤلاء إذ يقاومون المناضلين من أجل الحق، يضطهدون الصفوة التي اختارت التمسك بالتعليم الصحيح، والذين يدافعون عن الإيمان المجيد («المسلَّم مرة للقديسين»)، والذين يسعون أن يعطوا المجد ويقدِّموا التسبيح بأسمى عبارات التقديس لكلمة الله الوحيد. فعندما تقابلك تجربة من هذا النوع لا تطرح عنك درعك، ولا تكن كجندي يفرُّ من المعركة، أو كمصارع يتخلى عن دُرْبَتِهِ وشجاعته.

+ لا تودّ سلاماً في غير أوانه (أو راحة قبل ميعادها)، وإلا كان هـذا سبباً في دمار عاجل؛ بل تذكَّرْ ما قاله مخلِّص الكـل: «لا تظنـوا أنـي جئـت لأُلقـي سلاماً على الأرض. ما جئتُ لأُلقي سلاماً بل سيفاً» (مت ١٠:٣٤). وحتـى إذا ما كان للمضطهِدين سلطان دنيوي، فلا تَخَفْ من الأذية الـتي يمكنهـم أن يلحقوها بك، حتى ولو وَصَلَتْ إلى سفك الدم والمغامرة بالحياة. لكـن تذكـر أيضاً نصيحة الرسول القديس الذي يقول: «فإذاً الذين يتألمون بحسـب مشيئة الله، فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين» (١بط ٤:١٩)، وأيضا: «فلا يتألم أحدكـم كسـارق أو فـاعل شـر أو متداخـل في أمـور غـيره؛ ولكـن إن كـان كمسيحي فلا يخجل؛ بل يمجِّد الله من هذا القبيل.» (١بط ٤:١٥و١٦)

+ إنها لحقيقة (روحية) واقعـة: أننـا إن كنّـا نتـألم ظلمـاً مـن أجـل اسمـه، فسَنُحْسَبُ مستحقين للأمجاد الأبدية. فالجهاد لن يكون بلا مكافـأة، والمعانـاة (في سبيل الله أو القريب) لن تذهب سدىً؛ فكما قال القديس بولـس: «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكـم وتعـب المحبـة الـتي أظهرتموهـا نحـو اسمـه» (عب ٦:١٠). فمثل هذه المصادمات قد وُضِعَتْ على كل الذين يتّقـون الله، لتبيِّن مَنْ هو الـذي يعـرف كيـف يتحمـل (الضيقـات) بصـبر حتـى النهايـة. فالشهداء المغبوطون قد فازوا بأكـاليل الـبر بعـد أن «جـاهدوا الجهـاد الصـالح وأكملوا سعيهم، وحفظوا الإيمان.» (٢تي ٤:٧)

+ ثم إن هناك أنواعاً أخرى مـن التجـارب بجـانب هـذه العامـة يمكننـا أن نقول إنها تأتي على كل واحدٍ تقريباً، ولكنها تختلف من واحد لآخـر. فكمـا

يقول واحدٌ من الرسل القديسين: «لا يقل أحدٌ إذا جُرِّب: إني أُجرَّب من قِبَل الله. لأن الله غير مُجرَّب بالشرور، وهو لا يُجَرِّب أحداً. ولكن كل واحدٍ يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم إن الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً.» (يع ١:١٣-١٥)

+ إذاً، فهو جهاد محفوف بالخطر الجسيم قد وُضِعَ على كل واحدٍ (مسيحي) حتى ينزلق إلى الخطية وينحرف عن جادة الصواب تائهاً في ارتكاب الأعمال المسيئة لنفسه وللآخرين. عنيفة هي سطوة الشهوات، ومثيرة لحروب جمة وأهواء شرسة دنيئة وعديدة تشدُّ فكر الإنسان إلى الحضيض إذا ما استسلم لها.

+ فالبعض قد ينغلبون من الشهوة الجسدية وينحرفون إلى أحطِّ أنواع الفساد، وآخرون قد ينساقون في حب جمع المال إلى أن يصيروا فريسة للاكتناز الخسيس (بطرق غير مشروعة) قد تقودهم أخيراً إلى أشنع الجرائم. فحسناً يليق بنا نحن الـمُحاطين بمثل هذه الشرور الخطيرة، حتى ولو لم نكن قد وقعنا فيها بعد، أن نصلي قائلين: «لا تُدْخِلْنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير»، لأنه جيد للإنسان (السائر في طريق الله) أن يكون بمنأى عن كل شر.

+ أما إذا اقْتَحَمَتْك التجربة (رغماً عنك)، فكن صنديداً لا يُقهر؛ اقمع الجسد، وألْجِمْ العقل، واطلب المعونة من الله، فتحوز الأمان بقوة تُمنح لك من الأعالي. تشدد وتقوَّ ولا تكن ضعيفاً سهل الوقوع في فخاخ العدو؛ بل

حَذِراً واعياً، محبًّا لله أكثر من حبك لأي مسرَّةٍ أخرى. فحينئذٍ يعينك ويهبك النصرة، لأنه مخلِّص ورب الكل. بـه ومعـه، لله الآب، الحمـد والربوبيـة، مـع الروح القدس، إلى أبد الأبد آمـين.

**القديس كيرلس الكبير**

(من شروحاته لإنجيل القديس لوقا)

# ٨. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمــين

**«لأن لك الملك والقوة والمجد»:**

+ والرب إذ يستحثنا أن نكون على استعداد لمواجهة العدو بتذكُّرنا الدائم له، وإذ ينهض همتنا من الفتور والكسل، يبعث فينا روح الشجاعة في كشفه لنا عن نوعية الملك الذي نتبعه. إنه يرينا أنه هو وحده أقوى من الكل: «لأن لك المُلك (السلطان) والقوة والمجد». فإذا كان الله هو الذي نتبعه وهو صاحب السلطة العليا؛ فلا ينبغي أن نخاف شيئاً. لأنه ليس لأحدٍ ما القدرة على مقاومته أو اغتصاب سلطانه الأعلى. وعندما يقول: «لك المُلك»، يبين لنا بذلك أنه حتى هذا العدو نفسه الذي يهاجمنا هو خاضع لله أيضاً، وإذا كان يحاربنا فذلك لأن الله يسمح له بذلك. فهو - أي الشيطان - ما زال من عداد عبيده ولو أنه قد سبق ودِينَ ورُفض (من الرب). ومهما كان مدى هيجانه علينا فهو لا يجسر أن يشن هجوماً على إنسان، ما لم يأخذ السلطان أولاً من الله. ولماذا أقول إنه لا يجرؤ على مهاجمة إنسان؟ بل إنه لم يجسر حتى على الدخول في قطيع الخنازير إلا بعد أن أخذ السماح مُسْبقاً من الرب

يسوع المسيح؛ بل و لم يجسر قبل ذلك حتى أن يمس بقر أيوب أو غنمه، ذلك الرجل الصدِّيق، إلا بعد أن أعطاه الله السلطان على ذلك.

**«لك المجد إلى الأبد. آمين»:**

ا لله ليس فقط يخلّصنا من شرورنا، ولكنه أيضاً يمنحنا المجد. فكما أن قدرته لا تُحدُّ، كذلك فإن مجده يفوق الوصف، وهذه المقدرة وذاك المجد يمتدَّان إلى أبد الآبدين. والآن أنتم ترون كم من الأشياء يلهمها لنا الرب عندما يستحثنا على مقاومة العدو، وعندما يوعز إلينا بالثبات والرجاء الوطيد.

**القديس يوحنا ذهبي الفم**

* * *

**ليس لإبليس سلطان على المحتمين بالله:**

+ إنه قد تحدث لنا أضرار كثيرة من جهة الناس الذين يؤذوننا جهراً أو ينصبون لنا الأشراك سرًّا، أو من جهة الجسد الذي إذا اهتاج ضد الروح فقد يسبب لنا ضرراً فادحاً، أو إذا ما وقع فريسة لأمراض عديدة تحيطنا من كل جانب، فإنه لا يقودنا إلا إلى الألم والغم. فنحن من كل جانب معرَّضون لمصائب عديدة متباينة، والرب يعلّمنا أن نطلب من الله الكلي القدرة أن نكون بمنجاةٍ منها. لأنه أمام ذاك الذي يحمينا تسكن العاصفة وتهدأ الأمواج

ويفر إبليس خازياً، كما خرج سابقاً من الإنسان ودخل في أجساد الخنازير؛ ولكن حتى هذا أيضاً لم يجرؤ عليه بدون سماح.

فإذا كان ليس له سلطان حتى على الخنازير، أيكون له هذا السلطان على الناس الساهرين المتضعين المحتمين بالله الذي يتقونه كسيدٍ وملكٍ لهم؟ ولهذا فإن في نهاية هذه الصلاة أيضاً يشير الرب لنا: إن لله السلطان والقوة والمجد، في قوله: «لك المُلك والقوة والمجد إلى الأبد» آمين، كما لو كان يقول: إني أطلب منك كل هذا لأنني أعرف أنك سيد الكون وضابط الكل. ولك القوة اللانهائية وتستطيع كل ما تريد، ولك المجد الذي لا يمكن أن يُسلب منك.

من أجل كل هذه الدواعي، فلنشكر ذاك الذي تفضَّل ومنحنا كل هذه النِعَم، ولنعلن جهراً أن له ينبغي كل مجد وكل كرامة وكل سلطان؛ آمين.

**القديس أغسطينوس**

* * *



ونختم هذه "الشروحات للصلاة الربانية عند الآباء" بكلمة **للعلاّمة ترتليان**(١)، جاءت في خاتمة شرحه للصلاة الربانية:

[ الله نفسه الكلي القدرة هو الذي علَّمنا نوعية الصلاة التي ينبغي أن نقدِّمها له، وهو الذي ينفخ فيها من روحه القدوس، هذا الذي بمجرد أن تخرج من أفواهنا يعطيها امتياز دخولها إلى السماء وتلامسها مع قلب الآب. وذلك بناءً على وعد الابن.

والله القادر أن يسدَّ احتياجات البشر عندما سلَّمنا صيغة هذه الصلاة، أضاف قائلاً: «اسألوا تُعطَوْا» (لو ١١:٩)، فكل واحد يمكنه أن يرفع إلى السماء صلوات متعددة حسب احتياجاته، ولكن بشرط أن يبدأ دائماً بهذه "الصلاة الربانية" التي ستظل باستمرار هي "الصلاة الأساسية"].

---

(١) لاهوتي ومدافع عن الإيمان – من قرطاجنة بشمال أفريقيا (١٦٠-٢٢٢م).

**يُطلب من:**

## دار مجلة مرقس

**القاهرة:** ٥٠ «أ» شارع شبرا ـ ت ٧٧٠٦١٤

**الإسكندرية:** ١٣ شارع الشهداء ـ المنشية ـ ت ٤٨٤٠١١٠



سلم يعقوب والملائكة صاعدون ونازلون على يعقوب (فريسكو قديم من هيكل يوحنا المعمدان دير القديس أنبا مقار)



الثمن جنيهان